بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

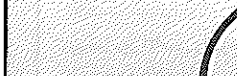

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد الثامن- المجلد الستون

February 2015

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى
في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:

محمد فرمان الندوي
محمد عبد الله الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ — ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg,
Lucknow. Pin:226007 U. P. (india) Fax: 0522-2741221,2741231
Mob: 9889336348 E-mail:nadwa@sancharnet.in

محتويات العدد

العدد الثامن- المجلد الستون – ربيع الثاني ١٤٣٦هـ- فبراير ٢٠١٥م

الافتتاحية :

تاريخنا بين الأمس واليوم ، والواقع المعاش — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

التوجيه الإسلامي :

طغيان المادية والمعدة : ميزة هذا العصر — الإمام العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي — ٨

بناء الأسرة في المنظور الإسلامي — الدكتور جمال الدين الفاروقي — ١٢

الحكمة ضالة المؤمن — الشيخ الطاهر بدوي — ١٩

الدعوة الإسلامية :

شرح قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية — الدكتور غريب جمعة — ٢٢

دور الحديث النبوي الشريف في توسعة نطاق النثر العربي — الأخ محمد سعيد الله بن شيخ نور عين الندوي — ٣١

الفقه الإسلامي :

بعض قضايا فقهية معاصرة حول الإرث والوصية — الأستاذ مصطفى عبد القدوس الندوي — ٣٩

من أعلام التاريخ الإسلامي :

العلامة شبلي النعماني : شخصيته العملاقة ومآثره الخالدة — سماحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ٥٢

العلامة شبلي النعماني حياته وآثاره ومجمع دار المصنفين — الأخ فضل الرحمن الإصلاحي القاسمي — ٥٨

من تاريخ ندوة العلماء الأدبي :

مساهمات شعراء ندوة العلماء في إثراء اللغة العربية — الدكتور محمد شاهجهان الندوي — ٦٣

في رياض الأدب والأدباء :

ليلى العثمان الكاتبة الكويتية — الباحث أسرارالحق الصديقي — ٧١

الإلمام باللغة وتبعاته الاجتماعية والحضارية — الأخ محمد أمين هداية الله — ٧٦

عليك مني الصلاة والسلام معاً — الأخ محي الدين كلفام الندوي — ٨١

صور وأوضاع :

بين الشعوبية القديمة والشعوبية الجديدة — الأستاذ السيدمحمد واضح رشيد الحسني الندوي — ٨٢

من كنوز القرآن الكريم :

تفسير القرآن الكريم للعلامة السيد سليمان الندوي — محمد فرمان الندوي — ٨٦

إصدارات حديثة :

معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية — الأستاذ محمد عمر شفيق الندوي — ٩٢

أخبار علمية وثقافية :

المؤتمر الوطني للباحثين الشباب بدلهي الجديدة (الهند) — الأخ محمد محبوب عالم الندوي — ٩٤

المهرجان المئوي لدارالمصنفين بأعظم جراه — قلم التحرير — ٩٦

إلى رحمة الله تعالى :

١. فضيلة الشيخ الحاج إرشاد أحمد البرتاب غري في ذمة الله تعالى — قلم التحرير — ٩٨

٢. فضيلة الشيخ إبراهيم الكاوي في ذمة الله تعالى — " " " — ٩٨

٣. والدة الشيخ عبد العلي الفاروقي إلى رحمة الله تعالى — " " " — ٩٩

٤. حرم فضيلة الشيخ الأستاذ أكبر علي الندوي في ذمة الله — " " " — ١٠٠

٥. فضيلة الشيخ عبد الرب القاسمي في ذمة الله تعالى — " " " — ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

تاريخنا بين الأمس واليوم، والواقع المعاش

نحن في عصر الانهيار ، انهيار النظريات والفلسفات ، وانهيار الحضارات والأيدلوجيات ، وإن زعماء المادية في العالم الحديث اليوم مكبون على البحث عن مبررات ، تسمح لهم باجراء تجارب جديدة على العلوم والمعارف عسى أن تساعدهم على التوصل إلى نظريات وفلسفات جديدة تستطيع أن توفر للإنسان في هذا الكون الواسع العريض مرصداً يكون أداة للإبداع والابتكار في جميع المجالات التي يعيش هو فيها ، ويركز عليها لرفع مستوى الحياة من خلال الفكر المادي والصناعي ، والبحث عن وسائل المعارف المبدعة والمتجددة في سبيل العلم والتقنية .

إنها نظرية مادية بحت ، تجعل العالم البشري كائناً مثل الكائنات الأخرى التي لا همَّ لها من وجودها إلا أن يستخدمها الناس كيفما شاؤا ، ويحققوا بها أغراضهم وحاجاتهم ، و قد عاش هذا العالم البشري في عصور الجاهليات بين سلبيات كثيرة من الأعمال والوظائف التي كانت تعبر عن دوس كرامة البشر حيناً وعن الصلف والكبرياء حيناً آخر ، يشهد على ذلك تاريخ الحضارات الإنسانية التي بادت وخلفت وراءها آثاراً مبكية ومحزنة لا تخفى على أصحاب العلم والاطلاع على عصور ازدهار حضارات اليونان والرومان ما قد عاشه الإنسان من استهانة ، ولما بلغ سيلها الزبى ، وضاقت على الإنسان طرق العيش في كرامة وإنسانية ، بعث الله سبحانه وتعالى في بداية القرن السابع الميلادي رسول الرحمة للعالمين الذي اختط للعالم البشري نهج العيش السليم الطبيعي ، وفتح له بوابة العز والسعادة على مصاريعها بإذن من ربه تعالى ، فكانت أسعد فترة في تاريخ البشر وأكمل فصل من فصوله ، وهنالك دوى صوت السماء الذي ملأ أجواء الكون بشراً وحبوراً : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً . وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً) .

فإذا بمكانة الإنسان قد ارتفعت وأخرجته من زوايا الخمول والوثنيات إلى مرتبة القيادة العالمية ، ولكن جذور الجاهلية المتأصلة في

نفوسهم حالت دون ذلك ، وألحت على الالتزام بتقاليد الآباء ورفض كل دعوة تدعوهم إلى تركها والميل نحو دين جديد جاء به محمد (صلى الله عليه وسلم) وقد تصدى رؤساء القبائل للقتال إذا لم يمتنع أصحاب هذا الدين المعدودون عن إغرائهم شباب القوم ، واتسع نطاق الخلاف والأذى الذي ضيق خناق المسلمين المعدودين وألجأهم إلى أن يستتروا في شعب أبي طالب ويترقبوا الفرج من الله تعالى ، وقد تحقق الانتصار من الله تعالى لرسوله المبعوث إلى الناس كافة برسالة دائمة لسعادة الإنسانية المعذبة الشقية ، وظل دين الله يسع الأنفس والآفاق وينال قبولاً نتيجة الدعوة الخالصة التي أرسل بها الله سبحانه رسوله العظيم، وتلاوة آيات الله تعالى ، وتزكية قلوبهم من تلوثات الجاهلية الوثنية الصنمية ، وتوافر فرص التعليم لكتاب الله تعالى والحكمة التي أودعها في هذا الدين بصفة مستمرة متكاملة ، تتفق وطبيعة الإنسان إلى يوم الدين ، وقد بشر الله تعالى بذلك المؤمنين ، ومن مهجره للعالمين جميعاً . (هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الجمعة / ٢)

وما هي إلا مدة قليلة إذ كتب الله تعالى الانتشار لدينه الكامل وتأثيره في صناعة الإنسان الكامل على المستوى العالمي ، أفليس عهد الخلافة الراشدة وما بعده برهاناً عظيماً على انسجام العالم البشري مع المنهج الذي جاء به الإسلام وشريعته التي شملت جميع القضايا والمشاكل التي واجهتها البشرية في سالف عهدها والتي غطت الحياة وشئونها الفردية والجماعية وجميع طرق المعاش ومعاملات الاقتصاد والسياسة وصور العبادة والأخلاق ، والعلاقات مع الله وحده ومع الناس جميعاً ، ومن ثم كان الإسلام هو الصراط المستقيم للإنسانية جمعاء وعلى وجه دائم ، تنطبق تعاليمه على الكائنات كلها ، وعلى الأزمان كلها ، وعلى سكان أرض الله تعالى كلهم ، وقد ظل الإسلام هو القائد الأصيل ، والطريق الطبيعي ، والقطب السماوي الذي يدور حوله الكون والإنسان والحياة بصفة دائمة ، من غير أن يحول دون ذلك شيئ من تباين الديار والأوطان واللغات واللهجات والعادات والتقاليد وكل ما له صلة بالعالم البشري ، جعله الله تعالى دستوراً خالداً يعيش في ضوئه

كل ما في هذا العالم المادي ولا يحيد عنه قيد شعرة .

كان الإسلام منارة عالية للنور أضاءت الدنيا ، أقاصيها وأدانيها، وأطلت على البر والبحر والأرض والسماء ، فأشرقت آيات قدرة الله فيها وغمرت القلوب والنفوس بالإيمان بالله الذي لا إله إلا هو، وكان العالم كله جنة يعيش فيها الناس في أمن وسلام وحب وأخوة وعزة وقوة، وكل شيئ فيه خاضع أمام المنهج السماوي والنظام الإلهي في جو من الهدوء والاستقرار ، وكل صغير وكبير ودقيق وجليل تابع لأوامر السماء التي يحتوي عليها ذلك الدستور الخالد العظيم ، وبذلك كان الإسلام حضارة إنسانية عالمية سماوية كاملة خالدة لا نقص فيها ولا زيادة ، ولا خلل فيها ولا عوج .

ذلك هو الإسلام الذي حكم العالم فأنقذه من كل فساد وظلم وإرهاب ، وسلم زمام الخلافة في الأرض لبني آدم ، وقد مثلها عملياً رسولنا العظيم محمد صلى الله عليه وسلم من خلال الدولة الإسلامية التي أقامها في المدينة ، ومنها امتدت إلى العالم شرقاً وغرباً، وشملت الكرة الأرضية كلها بواسطة خلفائه الراشدين وأصحابه العاملين وأتباعهم الصالحين ومَن بعدهم (رضي الله عنهم جميعاً) وشهد التاريخ نموذجاً عالياً مشرقاً للحكم الإسلامي وسجل انتصارات هذا الحكم بمداد من النور على صفحات من العز والافتخار ، فمن كان يرجو أن يزول عرش الامبراطورتين العظيمتين الرومانية والفارسية اللتين كانتا تسودان العالم كله شرقاً وغرباً ، ولكنه هو الحكم الإسلامي الذي قام به أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، أزاح قصور الباطل ودحر جيوش الفارس والروم ، وأقام حكم الله تعالى في الأرض بإذن منه ، إن سجلات التاريخ الإسلامي حافلة بجلائل الأعمال التي أنجزها المسلمون على مدار التاريخ الإنساني .

ومنذ أن نشأت أمراض خلقية وأدواء روحية في المجتمعات التي تُعرف بمجتمعات المسلمين تسرب إلى أهلها ضعف الإيمان والفقه وقلة الثقة بأن الإسلام دين كامل وشريعة خالدة ومنهج دائم ونظام شامل ، وبهرتهم زخارف المادية وأضواء الحضارات الزائفة ، وواجهت الأمة الإسلامية مشاكل اجتماعية وقضايا سياسية واقتصادية كثيرة ، أحدثها زعماء الدول الكبرى وقادة الغرب والشرق ، خوفاً مما رأوه في

جميع أنحاء العالم من يقظة إيمانية وصحوة إسلامية ذات نطاق واسع بين أمم العالم المادي وشعوبه ، وما شاهدوه بأم أعينهم من موجة الأسلمة في العالم الغربي والشرقي والتيار الزاحف نحو الدخول في دين الله أفواجاً في المجتمعات المادية ، الواقع الذي أقض مضاجعهم وأدخل في نفوسهم خوفاً ويأساً من مستقبلهم .

نتيجة لذلك اتفقوا على تركيز جميع آلياتهم ووسائلهم للقضاء على هذه الموجة العارمة من الأسلحة الإيمانية التي دخلت في عقر دارهم، ولإبعاد شعوبهم وشبابهم من هذه " الفتنة " التي أخذت بتلابيبهم ، فمن تحبيب الأهواء والفواحش إلى نفوسهم ، وطردهم من وظائفهم ووضع الحصار على معاشهم ، ومن خلال تعميم الحرام في مجال الكسب والمعاش ، والاستهانة المنكرة للقيم الخلقية الدينية ، والحط من شأن كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والإساءة إلى شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام وتمثيلها بالصور الكاريكارية الشنيعة، إلى الغزو العسكري المخطط على العالم الإسلامي، وشراء عملاء باسم الإسلام والمسلمين وتدريبهم على ما يشوه صورة الإسلام والخلافة الإسلامية ، بحيث تنفر الناس من كل ما له صلة بالإسلام أو انتماء إليه ، وهل أتاكم – أيها القارئ الكريم، من خلال الوسائل الإعلامية المطبوعة والالكترونية – حديث الدولة الإسلامية وقادتها وأعضائها ، ثم ذخائر الأسلحة الحديثة والوسائل الحربية التي يملكونها، ولا يبالون بقتل من شاؤا من معارضيهم وقطع أعناق الأبرياء من الشباب والشيوخ ، وكذلك حكايات الجماعات والمنظمات المشبوهة المنبثة على رقعة واسعة من أقطار المسلمين ! وهل تناسيتم قضية فلسطين وما حدث فيها في غابر الأيام وحاضرها من حرب إبادة وتدمير للأمة الفلسطينية ، و لدفن جميع المجهودات التي تبذل في مجال الدعوة إلى الله في أرض الأنبياء المقدسة وطمس جميع معالم الإسلام وآثاره فيها ، وبالتالي تهويدها وإسكان أعداء الإسلام الحاقدين فيها بتصفية جميع عناصر الدين الإسلامي وأتباعه ؟ !

وإن ما يجري اليوم في المسجد الأقصى المبارك من حصار ثم استيلاء العناصر الصهيونية عليه ، ومنع المسلمين من أداء الصلاة فيه، ألا يذكرنا

ذلك بالحروب الصليبية التي أراد الصليبيون من خلالها أن يسيطروا على العالم الإسلامي بكامله وعلى المسجد الأقصى ، فاحتلت خيولهم المسجد الأقصى ، وكانت أوربا قد ألقت بأفلاذ أكبادها حينذاك واستمر ذلك إلى أكثر من قرن ، وقيض الله سبحانه وتعالى نور الدين و وزيره الغالي صلاح الدين اللذين صمدا في وجه الغزو الصليبي وهزما العدو وطرداه حتى أنقذا الأقصى المبارك والبلد المقدس وما جاوره من الأيدي النجسة وتطهير كل ذلك من العدو اللدود .

وارجعوا قليلاً إلى الغارة التترية في القرن السابع الهجري ، التي قامت بسفك الدماء ونسف البناء ومحو الآثار وإقامة المنابر برؤوس القتلى المسلمين ثم كيف كانت عاقبتهم ؟ عاقبة هولاكو وجنكيز في تاريخ هذه الغارة ! وهل تناسيتم ، أيها القراء الكرام ! محرقة هولوكوسو النازية ، كيف أكلت أجسام الناس ، وأتت على كل رطب ويابس .

ولعل هذه هي المآسي الإنسانية التي تنبأ بها ملائكة الرحمن يوم قالوا : (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) (البقرة / ٣٠) هكذا كان الحاقدون على الإسلام والمسلمين منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا ، يفرضون إرادتهم حقداً وعداوة على أمة الإسلام والعالم الإسلامي لإطفاء نور الله تعالى، ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . يقول الله تعالى : (هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ) (التوبة /٣٣) ، ويقول تعالى : (يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ) (الصف / ٨) .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٣٦/٢/١٨هـ

٢٠١٤/١٢/١٢م

التوجيه الإسلامي

طغيان المادية والمعدة ميزة هذا العصر

بقلم :الإمام العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي

رووا أن شاعرة جاهلية هي (كبشة بنت معديكرب) عاتبت أخاها عمرو بن معديكرب ، وعيرته بميله إلى قبول دية أخيه المقتول فقالت :

ودع عنك عمـــراً إن عمراً مسالم
وهل بطـن عمـرو غير شبر لمطعم

ما تتصور المرأة الجاهلية البسيطة أن بطن إنسان يتجاوز مقدار شبر فكيف لو رأت معدة الإنسان الحاضر ابن القرن العشرين (وبعده) تضخمت وكبرت حتى وسعت الأرض وتجاوزت حتى أصبحت لا يملؤها إلا التراب .

نعم تضخمت معدة الحرص في الإنسان حتى صارت لا يشبعها مقدار من المال ، وتولد في الناس غليل لا يُروى و أوار لا يُشفى ، وأصبح كل واحد يحمل في قلبه جهنم لا تزال تبتلع وتستزيد ، ولا تزال تنادي هل من مزيد ؟ هل من مزيد ؟ تسلط على الناس – أفراداً وأمماً – شيطان الجشع والحرص فكأن بهم مساً من الجنون ، وأصبح الإنسان نهماً يلتهم الدنيا التهاماً ، ويستنزف موارده حلالاً وحراماً ، ثم لا يرى أنه قضى لبانته وشفى نفسه ، والعهدة في ذلك على وضع الحياة الحاضرة وطبيعتها وكونها مادية صرفة لا تؤمن بالآخرة . وخليق بمن لا يعتد إلا بحياته الدنيا ولا يرى وراءها عالماً آخر وحياة ثانية ، أن تكون هذه الحياة بضاعته ورأس ماله وأكبر همه وغاية رغبته ومبلغ علمه ، وأن لا يؤخر من حظوظها وطيباتها ولذائذها شيئاً وأن لا يضيع فرصة من فرصها ، ولأي عالم يدخر وهو لا يؤمن بعالم وراء هذا العالم ، ولا بحياة بعد هذه الحياة ؟ !

وقد عبر عن هذه النفسية الجاهلية الشاعر الجاهلي الشاب طرفة بن العبد في صراحة وبساطة فقال :

فإن كنت لا تسطيع دفع منيتي
فدعني أبادرها بما ملكت يدي
كريم يروِّي نفسه في حياتـــه
ستعلم إن متنا غداً أينا الصـَّدي

وكل إنسان متمدن اليوم – إلا من عصمه الله بالإيمان – يرى هذا الرأي ويذهب هذا المذهب في الحياة ، إلا أنه قد يجرؤ على أن يصرح به ، وقد لا يملك ذلك اللسان البليغ الذي يعبر عن ضميره .

والسبب الثاني : هو الأدب العصري – بمعناه الواسع – الذي لا يتحدث إلا عن المادة وأصحابها ، ويخنع لأهل الثراء وأصحاب الاحتكار وأصحاب الإنتاج ، الخنوع الذي لا يليق بالأدب الشريف العالي ، فيكتب دقائق حياتهم في تفصيل ، وينشر ألقابهم وأسماءهم بقلم عريض ، وكل نفس من أنفاس مدحه وتقريظه وكل فصل من فصول روايته ينتهي إلى نتيجة مادية أو إلى بطل من أبطال المادة ، ويزين للقارىء المذهب الأبيقوري تارة بالتلميح وتارة بالتصريح ، ويحث الشباب على التهام الحياة وانتهاب المسرات نثراً وشعراً وفلسفة ورواية وتحليلاً وتصويراً ، فلا ينتهون منه إلا بالروح المادي والتقديس لرجال المادة .

وكذلك المجتمع الذي لا يقدّر إلا الغني الظريف ، متناسياً كل ما فيه من رذيلة ولؤم أصل وسوء خلق ، ويتجنى على الإنسان الذي لا يترجح في ميزانه مهما كثرت مواهبه وطاب عنصره وسما جوهره ، ويلمح وقد يصرح بأن الفقير لا يستحق الحياة ، ويعامله معاملة الدواب والحمير والكلاب ، فيرغم الإنسان – إذا لم يكن ثائراً على المجتمع– على أن يخضع لشريعة مجتمعه ، وأن يتجمل ويتظرف لمجتمعه ، فلا يلبس إلا لغيره ولا يتأنق إلا لغيره .

وهذا المجتمع لا تزال مقاييسه للشرف والظرافة تتغير ومعاييره للإنسانية تتبدل وتتحور ومطالبه تتنوع وتتكثر ، حتى يضيق الإنسان بها ذرعاً ويلجأ إلى طرق غير شريفة لتحصيل المال وإلى كدح وكد في الحياة ، وهناك هموم تتوالى ولا تنتهي ومتاعب تتسلسل ولا تنقطع .

و زاد الطين بلة ، تنافس المصانع والمنتجين والصناع ، ففي كل صباح يتدفق على المدينة سيل جديد من أحدث المنتجات وأحدث طراز من السيارات والسجاير والأزياء والقبعات والأحذية والأدهان والأطلية وأسباب الزينة والزخارف والأجهزة . ولا يجلب منها شيئ قياماً بالواجب وسداً للثغور ، بل كله في سبيل الاستغلال الصناعي والاحتكار التجاري ، ولا تلبث هذه المنتجات التي من فضول الحياة أن تدخل في أصول المعاش ولوازم المدنية ، والذي لا يتحلى بها لا يعد من الأحياء .

ولهذه الأسباب ولغيرها ارتفعت قيمة المال في عيون الناس ارتفاعاً لم تبلغه في الزمن السابق ، وبلغ من الأهمية والمكانة مبلغاً لم يبلغه – على ما نعرف – في دور من أدوار التاريخ المدون ، وأصبح المال هو الروح الساري في جسم المجتمع البشري والحافز الأكبر للناس على أعمالهم ونشاطهم المدني ، وقد يُدفع المخترع إلى الاختراع والصانع إلى صناعته والسياسي إلى مقالته والمرشح إلى انتخابه والعالم إلى تأليفه ، حتى القادة إلى الحرب ، فهو القطب الذي تدور حوله رحى الحياة العصرية كما يقول الأستاذ (جود) معلم الفلسفة وعلم النفس في جامعة لندن : (إن النظرية المهيمنة السائدة على هذا العصر هي النظرية الاقتصادية ، وأصبح البطن أو الجيب ميزاناً لكل مسألة ، فبمقدار اتصالها بالجيب وتأثيرها فيه يقبل الناس عليها ويُعنون بها) .

إذا حكمت على عصرك وطبائعه وأذواقه وأنت بمعزل عن الحياة ، وبنيت حكمك على مؤلفات ومقالات إنما تكتب في زاوية من زوايا المكتب فإنك تغالط نفسك ، وقد تقرأ في هذه الكتب الفلسفية أو المقالات العلمية التحليلية كأنك في عصر متمدن راق تتحكم فيه معايير الأخلاق وتسود فيه المثل العليا ويغشاه سحاب الفضيلة والنبل ، وتحلق عليه روح الديانة والعلم ، ولكن الواقع غير ذلك ، فإن هذه الكتب إنما ألفت في عالم الخيال الذي يعيش فيه مؤلفوها ، وإن أهواءهم وأذواقهم هي التي خلقت لهم عالماً خيالياً يصفونه ويصورونه في كتبهم ، حتى يخيل إلى القارىء أنه هو العالم المحيط به ..

وللأهواء عجائب وخوارق .

ولكنك إذا اتصلت بالحياة عن كثب لا عن كُتب ، وخالطت الناس ودرست أحوالهم وأصغيت إلى حديثهم في البيت وفي القطار والبستان وعلى المائدة وفي السمر ، رايت (الذهب) حديث النوادي وشغل الألسنة وهوى القلوب ، والبداية والنهاية في كل موضوع ، والقطب الذي تدور حوله رحى الحياة .

إن شاعراً عربياً يلعن الصعلوك الذي لا يتعدى نظره ولا يسمو فكره عن لباس وطعام ويقول :

لحا الله صعلوكاً مناه وهمه
من العيش أن يلقى لبوساً ومطعما

فكيف إذا أشرف هذا الشاعر على هذه المدنية وهي تجري بفلاسفتها وسياسييها ونوابغها وعلمائها وأشرافها وأغنيائها وفقرائها وراء غاية لا تتعدى لبوساً ومطعماً مهما تنوعت أشكالها وتضخمت ألقابها ؟ ! فالحياة كلها جهاد في سبيل اللباس والطعام .

فكان نتيجة ذلك أن الذهن الغربي والمنطق العصري أصبحا عاجزين عن الاهتداء إلى منفعة غير محسوسة لا تجلب لذةً واغتباطاً ، وأصبح العقل الأوربي محامياً عن المادية لا يحكم على الأخلاق بالحسن والصحة إلا بمقدار جلبها للمنافع المادية ، وبحسب ما يكتسب المجتمع بواسطتها من اللذة والهناء ، والأفراد من الاغتباط والرخاء ، فأصبح الربح المادي هو ميزان للأخلاق والفارق بين الشر والخير ، وأصبحت الأخلاق التي لا وزن لها في ميزان المادة ، ليس لها قيمة إلا القيمة الدينية أو الخلقية في المصطلح القديم ينتقص كل يوم سلطانها على القلوب والعقول ، وتعدم أنصاراً وتصبح من شعائر القديم وذكريات العهد الماضي كحنان الأبوين وحبهما للأولاد ، ووفاء الأزواج وحفظهن للغيب، وتحل محل هذه الأخلاق المقدرة الصناعية والاختراع والإنتاج والوطنية والجنسية ولا تزال ترتفع قيمتها ويرجح وزنها .[1]

١ من كتاب " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للعلامة الندوي " ص ٢٦٠ ٢٦٣ ، و ٢٧٣ - ٢٧٤ ، الطبعة التاسعة ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ، دار القلم ، الكويت .

بناء الأسرة في المنظور الإسلامي

(الحلقة الأولى)

د/ جمال الدين الفاروقي
وينـاد ، كيرالا

الأسرة هي اللبنة الأولى في هيكل المجتمع ، وهي كذلك المدرسة الأولى التي يتلقى منه الناشئون مبادئ الدين والثقافة والآداب، ولذلك أولى الإسلام بالغ الاهتمام ببنائها وتنظيمها ، وقد كان من طبيعة الإنسان منذ نشأته على الأرض أن يعيش في نظام أسري ، والقرآن يعُد ذلك منة إلهية حيث يقول تعالى: " وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ"[1]. وهذه الآية تشير إلى البنية التحتية التي يجب توافرها لبناء الأسرة الفاضلة.

وكلمة الأسرة جاءت من مادة (أ س ر) ، ومعناها قيدَه، ويطلق على الدرع الحصينة. وفي سياق الموضوع الذي نحن بصدده الآن، يكون معناها : المجموعة التي يربطها رباط وثيق، وكأن كل واحد منهم بمثابة الأسير ، والآسر هنا ليس عدواً ولا معارضاً. وإنما هو القيم والسلوكيات التي تنطلق من عقيدتنا السمحاء ، بحيث لا مساغ لنا للخروج عنها.

والأسرة الإسلامية يبدأ مشوارها من عقد الزواج، الذي شرعه الله للإنسان ليحافظ على العفة والكرامة الإنسانية ، وفيه زيادة للنسل وتحفظ للرجل والمرأة، والأيديولوجيات التي أعلنت الحروب على هذا النظام الإلهي ضلت عن طريقها وباءت أعمالهم بالفشل والخسران ، ونرى الكثير من الدول الغربية يواجهون من تفسخ الأسرة وتدهور العلاقات الفردية فيها ما لا يجدون له حلاً ،

[1] سورة النحل الآية: ٧٢

وكل ما يقترح عليهم للحد من هذه المعضلات تبقى هي الأخرى مشكلة مزمنة ، وحدث هذا بمطاولتهم على الدين وشريعته والاستهزاء بالأوامر الإلهية والتفاضي عنها. وأصحاب الأيديولوجيات المادية التي يحضنها الغرب يسعون لريادة فكرة الخروج عن قيود الحياة الزوجية واللجوء إلى العلاقات الجنسية الحرة ، كما في عالم الطيور والحشرات ، وسولت لهم أنفسهم أن ينهمكوا في الملذات الجنسية دون وازع ، مما نتج عنه التوتر الاجتماعي الهائل في تلك البلاد، وقد سرى هذا الوباء إلى مجتمعنا أيضا، وصارت الوسائل الإعلامية تشجع العلاقات الجنسية الحرة باسم الحضارة ، وتحقر القيم الدينية وتراها وحشية ورجعية

العلاقات الزوجية :

خلق الله الإنسان ليعيشوا أزواجاً متحابين ، والله يقول: وَخَلَقْنَاكُم أَزْوَاجاً (سورة النبأ: ٨) وقد كانت الفلسفات والديانات القديمة تروج فكرة التبتل والتنسك ، فحثت الناس على البعد عن الحياة الزواجية. إن دعاة الرهبانية المسيحية فرضوا على أتباعها وخصوصاً على الأحبار والرهبان أن يتبتلوا طول حياتهم ظناً منهم أنه هو النجاة في الدارين، ويحرضون الفتيات ليكن خادمات الإله ويحتفظن ببكارتهن ، ولكن العالم المعاصر يشاهد من الفواحش والدعارة والخلاعة التي تجري في عالم الرهبانية ، مما اضطر القساوس والبابوات في فاتيكان أن يسمحوا للأحبار بالزواج ، وكذلك البوذية تحث على الانعزال عن الزواج والأسرة . والتبتل والخلاعة لا ينفعان الإنسان ، بل كلاهما يسببان المشاكل الفردية والاجتماعية ما لا يستطيع أحد حلها . ولم تكن الثقافات الأشورية والفرعونية والفارسية تعتني بحاجات الإنسان حين وضعوا تعاليمهم لبناء الأسرة. وقد اتخذت المجتمعات السابقة لحياتهم الزواجية مختلف الأساليب ، مما استلهموا من الأفكار الشهوانية . والحديث المروي عن عائشة رضي الله عنها يوضح تلك الفضائح التي سادت أيام الجاهلية . وهي تقول:

" إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء، فنكاح منها

نكاح الناس اليوم ، يخطب الرجل إلى الرجل وليتّه أو ابنته فيُصدقها ثم ينكحها ، ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها : أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها زوجُها إذا أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد ، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع، ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة ، كلهم يصيبها ، فإذا حملت ووضعتْ ومر عليها ليال بعد أن تضعَ حملها أرسلت إليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها ، تقول لهم قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدتُ فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل، ونكاح رابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا، كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علمًا ، فمن أرادهن دخل عليهن ، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جُمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط به ودُعي ابنه لا يمتنع من ذلك، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم".[٢]

وهذه الأنواع الأربعة كانت سائدة منذ القدم حين زاغ الإنسان عن الإرشادات الربانية ، وهبطوا بذلك إلى أرذل الهوات الخلقية. وبجانب هذا شاعت في الجاهلية أنواع أخرى من الزواج مثل: نكاح الشغار، وهو عبارة عن تزويج الرجل ابنته أو أخته على أن يزوجه الآخر ابنته أو أخته من غير صداق بينهما. ونكاح المتعة : وهو أن يعقد النكاح إلى أجل مسمى ، وإذا انقرض ذلك الأجل افترقا. ومنها نكاح المقت: وهو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه بعد موته مما أنكر عليه القرآن ، ونكاح بالميراث ، وذلك أن يرث الوارثون المرأةَ المتوفى عنها زوجها، كما يقسم بينهم أمواله وعقاراته ، ومنها علاقة الرجل بخدنه أو عشيقه كما أنهم كانوا ينكحون المرأة وأختها في وقت واحد .

[٢] رواه البخاري رقم الحديث ٥١٢٧

موقف الإسلام :

والدين الإسلامي آثر الوسط بين التبتل والخلاعة واعترف للإنسان نزعاته الطبيعية وأجاز له العلاقات الزواجية التي تحفظ له كرامته وشرفه وتنقذه من أدناس البهيمية ، ووضع للزواج إرشادات واضحة لكي تسير الأسرة - صغارهم وكبارهم - في الطريق السوي حتى يكون منتهاهم إلى الجنة. وجعل الله الزواج الشرعي بيئة صالحة تساعد على بناء الأسرة وترابطها وتكثير النسل والمحافظة على الأنساب والأرحام ، وهو الوسيلة الوحيدة والمؤثرة لإرواء الغريزة الجنسية في الإنسان ، كما أنها تهيئ للناشئين أن يشعروا بالأبوة والأمومة التي تدفئهم وتحضنهم ، ولتحقيق هذه الأهداف وضع الدين الحنيف بعض التوجيهات والتعاليم التي ينبغي الالتزام بها لبناء أسرة محكمة ، والعلاقات الزوجية من إحدى آيات الله في الكون ، وما أحد يستطيع أن يربط بين القلوب مثل ما ألف الله بينها . وهو القائل: " وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " (سورة الأنفال: ٦٣) وفي العالم الذي نعيشه نرى الكثير من العلاقات الفردية التي يتخذها الإنسان بعضهم لبعض ، ولكن هذه العلاقات كلها ماضية في طريقها ما دامت تجلب الربح والفوائد ، أما إذا سببت الخسارة والمصاعب فإنها تنتهي فوراً ، والأصدقاء الأحباب يتحولون إلى ألد الأعداء ، ولكن العلاقات الزوجية ليست كذلك، وهي تدوم وتبقى إلى الموت ، حتى وبعد الموت وفي عالم النشور تبقى أواصرها ويخلد أصحابها في السعادة الأبدية أكثر مما تمتعوا بالحياة الزوجية في الدنيا . والله يقول: " وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ " (سورة الطور ٢١)

ترياق السعادة الزوجية :

والآية الإلهية في العلاقات الزوجية تتمثل في الآية الكريمة: " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (سورة

الروم . ٢١) والآية الإلهية المشار إليها ليست شيئا إلا الاندماج الكامل بين الزوجين على أساس المودة والرحمة ، وهما عنصران هامان لا بديل لهما . وقد يحسن المرء إلى مسكين متجول في الشوارع ببعض النقود مما يدل على الرحمة التي ينبض بها ضميره ، ولكنه لا يعلم . ولا يجب أن يعلم . بعد ذلك ماذا مصير ذلك المسكين ، إن العلاقة بينهما قد انتهت في تلك النقود ، ولم تعمل عاطفة المودة شيئا في توطيدها. أما علاقات الإنسان بشريكة حياته على أساس الزوجية فهي مغمورة بهاتين العاطفتين دائما. في السراء والضراء ، وفي ربيع الحياة وخريفها. حتى ولو كانوا على عتبات الموت ، لا يمكن اجتثاث جذور هذه العلاقة من قلوبهما ، وهذه العواطف . المودة والرحمة . تنوّر ضميرهم وتضيئ طريقهم وتطلعهم على محاسنهم ومعايبهم ، ولا يكاد ينشأ بينهم خلاف ولا نزاع حتى يمكن تسويته ما دامت المودة هي الفاعلة بين الأزواج ، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال: " النساء شقائق الرجال."[٣]

الإرشادات النبوية :

وقد وضع الإسلام تعاليم سديدة لبناء الأسرة المسلمة . ويأتي في طليعتها تعيين شخصية المرأة التي يختارها الرجل ، لأن المرأة لها دورها القيادي في تربية الأولاد وتثقيفهم بما هو أفضل ، فيتيسر لها بناء الأسرة بصورة ناجحة . وهناك تطلعات فردية أمام هذا الاختيار. وكثيرًا ما تكون من أحلام الشباب ، والسعادة الزوجية الحقيقية فوقها ، والرسول صلى الله عليه وسلم يشير إلى المؤهلات الشخصية للمرأة المسلمة ، وهو يقول: " ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرًا له من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله " (رواه ابن ماجة) ونبينا الكريم صلى الله عليه وسلم يوضح لنا ما هو المعيار الصحيح لضمان السعادة في رحاب الأسرة ، والأوصاف المشار إليها تجعل رحاب الأسرة جنة وارفة ترفرف رايات الآمال والسعادة

[٣] أخرجه الترمذي رقم الحديث ١٣٣

والسكينة ، وهذه الأوصاف تجعل المرأة تهدي قلبه لزوجها. وفي المقابل يهدي إليها رُوحَه ورَوْحه.

وفي حياة الصحابة رضوان الله عليهم خير مثال لما نقول : وحين تزوج جابر رضي الله عنه امرأة ثيباً قال له صلى الله عليه وسلم: هلا بكرًا ، تُلاعبُها وتُلاعبك ؟ فأجابَ : " يا رسول الله ، توفيَ والدي ولي أخوات صغار، فكرهت أن أتزوج مثلهن ، فلا تؤدبهن، ولا تقوم عليهن ، فتزوجت ثيباً ، لتقوم عليهن وتؤدبهن " وما أروع هذا المثال ، وما أكرم ذلك الصحابي الذي آثر الآجل على العاجل ، وآثر بناء جيل صالح متسلح بالآداب والأخلاق على تطلعاته العاطفية ، وقد رأى من اللذة والمتعة في تأديب أخواته الصغار ما لا يوجد في إشباع شهوات ذاته.

وتركيزًا على دور المرأة في بناء الأسرة قال صلى الله عليه وسلم أيضا: " اختاروا لنطفكم المواضع الصالحة ". بل جعل المرأة المسلمة التقية كنزاً ثميناً. وحين نزلت " والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله " قال له بعض أصحابه : أنزلت في الذهب والفضة ، فلو علمنا أي المال خير لاتخذناه . فقال رسول الله : " أفضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة صالحة تعين المؤمن على إيمانه "[٤].

وحدث أن جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو إليه سوء معاملة ولده وعقوقه للوالدين ، واستدعى عمر ذلك الولد وسأله عمر رضي الله عنه : ما حملك على عقوق أبيك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما حق الولد على أبيه ، قال: أن يحسن اسمه وأن يحسن اختيار أمه ، وأن يعلمه الكتاب ... فقال الولد: يا أمير المؤمنين : إن أبي لم يفعل شيئا من ذلك ، والتفت عمر للأب وقال له: لقد عققتَ ولدك قبل أن يعقك " والخطأ الأكبر في جانب ذلك الرجل أنه لم ينتبه إلى المؤهلات التي يجب أن تتوافر في زوجته حين

---

[٤] الترمذي ، كتاب تفسير القرآن : رقم الحديث ٣٠٩٤

وقعت عليها عينه ، ولن يستقيم الأولاد ما دام الأولياء في زيفهم واعوجاجهم الخلقي .

والحديث المشهور الذي تنطلق به الألسنة هو الآخر تأييداً لدور المرأة في بناء الأسرة، حيث يقول صلى الله عليه وسلم : " تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك"[٥]. وبجانب المقاييس الأربعة يجب الأولوية للتدين والتقوى حتى يكون هوالخالد والأبقى . والثلاثة الأخرى ظل زائل ، لا يكاد يعقد الزواج حتى تضعف وتتلاشى. وإليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم: " لا تَزوجوا النساء لحسنهن فعسَى حسنُهن أن يُرديهن ، ولا تزوجوهن لأموالهن ، فعسى أموالهن أن تُطغيهن ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة خرماء ذات دين أفضل"[٦]. والرجل أيضا يجب أن يكون على أخلاق فاضلة استقاها من التقوى والوعي الديني ، أوضحه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : " إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"[٧]. والعالم المعاصر لخير دليل لهذا الفساد الكبير الذي يختنق منه المجتمع ونظام الحكم على حد سواء ، وما من فتنة أدهى وأمر من فتنة التربية وفقدان النقاوة الاجتماعية التي تنطلق من المحيط الأسري .

الأسرة إذًا مهمة تعبدية ، يثاب عليها صاحبها وثوابتها تنطلق من العقيدة وما يترتب عليها من العبادات والأعمال الصالحات والأخلاق الفاضلة . (للمقال بقية)

---

[٥] رواه البخاري ـ كتاب النكاح. رقم الحديث ٥٠٩٠

[٦] أخرجه ابن ماجة ـ كتاب النكاح ، رقم الحديث ١٨٥٩

[٧] أخرجه الترمذي رقم الحديث ١٠٨٤

الحكمة ضالة المؤمن

بقلم : الشيخ الطاهر بدوي
(كبير علماء الجزائر)

الحكمة كنز ، وفضل لله يؤتيه من يشاء ، والحكمة أن تذكر إن نفعت الذكرى ، وأن تقيم الناس منازلها ، والنصوص أماكنها ، وتلازم الصمت إلا عند الضرورة ، وإذا قلت فعلت ، فالفعل بلا قول عسل فيه ذوق وشفاء للناس ، والقول بلا عمل مقت العزيز الجبار ، ومصيدة الخناس وأصل كل وسواس .

والحكمة بلا علم شعوذة ، و العلم بلا حكمة ثرثرة ، وحجة عليك يوم يؤخذ بالنواصي والأقدام ، حيث تسأل عن عمرك فيما أفنيته ، وشبابك فيما أبليته ، وعلمك أو مالك فيما أنفقته ، وأكتم سر الله على أهل الدنيا ، أهل الكفر والمكر والطمع و النفاق . ولا تنفق منه إلا بقدر وحذر .

قال الله تعالى " وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً " (سورة النساء ١٠٢) ، وعلم نفسك كيف ترتاع و تصطاد ، قال عز وجل " يَسْأَلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُواْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ" (سورة المائدة ٤) .

فالذي يغفل عن سلاحه مال عليه عدوه ميلة تجعله عبدا ذليلا بعد حريته وعزه ، ميلة واحدة تهدم كيانه بالكلية .

فالغفلة عن السلاح خيانة ، وجزاء الخيانة القتل أو النفي من أرض النفحات و المحبة ، وسبب في زوال النعمة ، قال تعالى " وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِى الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ " (سورة المؤمنون ١٨) .

و عامل أهل المكر بمعدنهم " وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ " (سورة فاطر ٤٣) ، وأهل المودة بكنزهم و تسلح باليقظة ، قال عليه الصلاة والسلام " لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين" ومن اليقظة أن تغتنم شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك – كما قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم – وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك ، واختر لإنفاقك موضعه ، ولعلمك وعاءه ، ولولدك أمه ، قال تعالى : "وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَآءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِى جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً " (سورة النساء ٥) فالسفيه فخور ، بخيل ، كنود ، مناع للخير هماز ، مشاء بنميم ، لا يعقل إذا نصحته ، و لا ينتهي عن شر إذا زجرته ، أحمق ، والحماقة أعيت من يداويها .

و للسفيه حق في الرعاية و العلاج حسب دائه " فالكبر على أهل الكبر صدقة" – كما قال سيدنا محمد رسول الجن و البشرية صلى الله عليه وسلم .

والطبيب الماهر يعلم كيف و متى يعالج ومن يعالج ، لأن الدواء في غير محله علة . وكم من داء أزال على صاحبه العلة ، كسم الأفاعي في ترياق الأسقام .

وانظر إلى أخيك بالكمال ، فكل عيب رأيته فيه هو عيبك ، وكل خطأ رآه فيك هو عيبه ، لأن المؤمن مرآة أخيه – كما جاء في الأثر عن سيد البشر- والحسنة إذا أصابتك فمن الله ، والسيئة من نفسك ، والحسنة أن لا تظن في الناس إلا الخير ، وأن تحكم عليهم بالظاهر وأن لا يعنيك باطنهم . وجوهر البر يكمن في وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه على وجه الخصوص ، ولأمته عامة التي يجب فهمها وتبليغها وتطبيقها ، فإن رحمة الله لا

تفارق أهلها . قال أبو ذر رضي الله عنه " أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع : بحب المساكين ، وأن أدنو منهم ، وأن أنظر إلى من هو أسفل مني ، ولا أنظر إلى من هو فوقي ، وأن أصل رحمي و إن جفاني، وأن أكثر من قول – لا حول ولا قوة إلا بالله- وأن أتكلم بمر الحق ، ولا تأخذني في الله لومة لائم ، وأن لا أسأل الناس شيئا" فالصدقة لا تؤدى لغني إلا إذا أصابته جائحة ذهبت بزرعه مثلا ، أو فاقة أحوجته إلى غيره ، فله أخذها حتى تستقيم حاله ، فالذي يأكلها عن غنى بلا عذر شرعي شارك اليهود في أخلاقهم . قال تعالى : " سماعون للكذب أكالون للسحت" .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما في حجة الوداع و هو واقف بعرفة حينما أتاه أعرابي فأخذ بطرف ردائه فسأله إياه فأعطاه وذهب " إن المسألة لا تحل لغني ولا لذي مرة سوي ، إلا لذي فقر مدقع أو غرم مقطع ، ومن سأل الناس ليثري به ماله كان خموشا في وجهه يوم القيامة ، ورضفا يأكله من جهنم فمن شاء فليقلل ، و من شاء فليكثر" .

قال بعض الحكماء :

هي القناعة فالزمها تعش ملكا ... لو لم يكن منك إلا راحة البدن

و انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن و الكفن

وللإمام علي كرم الله وجهه في مدح القناعة :

قدم لنفسك في الحياة تزودا ... فلقد تفارقها و أنت مودع

و اجعل تزودك المخافة و التقى ... فلعل حتفك في مساءك أسرع

و اقنع بموتك فالقناع هو الغنى ... والفقر مقرون بمن لا ينفع

و للإمام الشافعي رضي الله عنه :

و لا ترج السماحة من بخيل ... فما في النار للظمآن ماء

ورزقك ليس ينقصه التأني ... وليس يزيد في الرزق العناء

إذا ما كنت ذا قلب قنوع ... فأنت و مالك الدنيا سواء

الدعوة الإسلامية

شرح قصيدة

الكواكب الدرية في مدح خير البرية المعروفة "بالبردة" للإمام الأكبر الشيخ إبراهيم الباجوري شيخ الأزهر

(الحلقة الرابعة عشرة)

بقلم: الأستاذ الدكتور/غريب جمعة
جدة_ المملكة العربية السعودية

لا تعجبن لحسود راح ينكرها
تجاهلاً وهو عين الحاذق الفهم (١٠٤)

(١٠٤) قوله " لا تعجبن " إلخ لما وصف الآيات بما ذكره استشعر شخصاً قال له على وجه التعجب : إذا كانت الآيات بالمنزلة التي وصفت فكيف أنكرها كثير من الكفار ؟ فقال له : " لا تعجبن " إلخ أي لا ينبغي العجب لأنه إذا ظهر السبب بطل العجب ، وها هنا قد ظهر السبب وهو الحسد ، وقوله " راح ينكرها " أي ذهب ينكر كونها من عند الله تعالى، وأصل " راح " سار بالعشي ثم استعمل في الذهاب ، والمراد أنه أنكر ما اتضحت به دلالته حتى صار كالأشياء المحسوسة بحاسة البصر في نصف النهار الذي هو أول وقت الرواح ، وقوله " تجاهلاً " أي حال كونه متجاهلا أي مظهر الجهل ، فإنكاره ليس لجهله حقيقة ، بل لحسده وإن كان قد أظهر الجهل ، وقوله " وهو عين الحاذق الفهم " أي والحال أنه عين الحاذق بالذال المعجمة أي الماهر ، الفهم : بفتح الفاء وكسر الهاء : أي الشديد الفهم ، وحينئذ فإنكارها عناد دعا إليه الحسد ، فلا عجب لإنكارها للحسد ، وأشار بقوله " الفهم " إلى أن حذقه ليس ناشئاً عن طول التجارب والتكرار لكونه كان بليد الطبع ، بل حذقه مع كونه فاهماً بالأصالة ما لا يحصل مع كونه بليداً بحسب الأصالة ، وبهذا التقرير ظهر أن الفهم ليس معناه الحاذق كما زعم بعضهم .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم (١٠٥)

(١٠٥) قوله " قد تنكر " إلخ لما ادعى أن إنكارها للحسد مع كونها متصفة بالمعجزات المذكورة ، ..... ذلك بأمرين محسوسين : الأول إنكار العين ضوء الشمس من أجل الرمد القائم بها ، والثاني إنكار الفم طعم الماء من أجل السقم القائم به ، وكذلك إنكار الآيات من أجل الحسد القائم بالمنكر ، فهاتان الجملتان مسوقتان للتعليل ، وكلامه على حذف مضاف فيهما ، والتقدير : قد ينكر ذو العين إلخ ، وقد ينكر ذو الفم إلخ : لأن المنكر في الحقيقة إنما هو صاحب كل منهما .

يا خير من يمم العافون ساحته
سعياً وفوق متون الأينق الرسم (١٠٦)

(١٠٦) قوله " يا خير من يمم " إلخ لما مدحه صلى الله عليه وسلم بما مدحه به ، مخبرا عنه على وجه الغيبة ، أقبل عليه بالخطاب فقال : " يا خير من يمم " إلخ أي يا خير كريم قصد العافون وهم الطالبون للمعروف ساحته ، وهي حريم داره الواسع حال كونهم ساعين بمعنى مسرعين في المشي ،ليحصلوا حاجتهم أقرب وقت ، وحال كونهم راكبين فوق ظهور النوق التي ترسم الأرض وتؤثر فيها لحصول الحاجة سريعاً ، وقصده بذلك الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم ، والتوطئة لذكر صفاته . والعافون : جمع عاف ،وهو طالب المعروف ، والساحة حريم الدار الواسع ، وسعيا بمعنى ساعين ، والمتون جمع متن وهو الظهر ، والأينق جمع ناقة وأصله أنوق قدمت الواو على النون فصار أونق ثم قلبوها ياء فصارت أينق ، وهذا جمع قلة ، وجمع الكثرة نياق ، والرسم : بضم الراء المشددة وضم السين جمع رسوم وهي الناقة التي تؤثر في الأرض من شدة الوطئ عليها .

ومن هو الآية الكبرى لمعتبر
ومن هو النعمة العظمى لمغتنم (١٠٧)

(١٠٧) قوله " ومن هو " إلخ أي ويا من هو إلخ ، فهو معطوف على المنادى في البيت قبله ، وأجاز بعضهم أن يكون معطوفاً على " من " في قوله " يا خير من " إلخ والأول هو الظاهر ، وعليه فـ " من " هنا واقعة عليه صلى الله عليه وسلم وحده بخلاقة على الثاني فإنها واقعة على جنس متعدد يشمل النبيين والملائكة وقوله " الآية الكبرى لمعتبر " أي الآية الكبرى التي هي أكبر الآيات لمتأمل ومتفكر ، لأنه صلى الله عليه وسلم بعث بالسنن التي لا تحصى ، وبالعلوم التي لا تستقصى إلى قوم مغمورين في الجهالة والضلالة وقد بلغ من جهلهم وضلالتهم أن يعبدوا الأصنام ، فدلهم على الله وأرشدهم إلى ما لا ينال إلا بتخصيص من المولى الوهاب ، فمن تأمل ذلك عرف أنه الآية الكبرى ، أي الدليل الأعظم على أن ما جاء به حق قال تعالى : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (الشورى/٥٢) ، وقوله " ومن هو " إلخ أي ويا من هو إلخ فهو معطوف على المنادى في البيت قبله ، ويحتمل أنه معطوف على " من " على ما قال بعضهم ، كما علمت في نظيره وقوله " النعمة العظمى لمغتنم " أي النعمة العظمى التي هي أعظم النعم للمريد أن يغتنم ما عند الله من السعادة الأبدية ، لأنه صلى الله عليه وسلم أنقذ الخلائق من النار ، ومن الدخول في دار البوار بالبيان الواضح والبرهان الناصع ، فمن أراد أن يغتنم فهو صلى الله عليه وسلم النعمة العظمى له ولسائر العالمين ، قال تعالى : (وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء/١٠٧)

سريت من حرم ليلاً إلى حرم
كما سرى البدر في داج من الظلم (١٠٨)

(١٠٨) قوله " سريت " إلخ كأنه قال : ومن معجزاتك أنك سريت إلخ ، ومعنى سريت : أي سرت ليلاً لأن السرى هو السير ليلاً ، وسرى وأسرى بمعنى ، وقال السهيلي : سرى لازم وأسرى متعد ، لكن كثر حذف مفعوله ، فظن أهل اللغة أنهما بمعنى فالمفعول في قوله تعالى :

سبحان الذي أسرى بعبده) (أول سورة الإسراء) محذوف والتقدير أسرى البراق بعبده ، فحذف المفعول استغناء عنه بذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه المقصود بالخبر ، أو حذف ، لقوة الدلالة عليه ، وقوله " من حرم " أي حرم مكة وقوله " ليلا " أي في ليل، فإن قيل : إذا كان معنى سريت سرت ليلا ، ومعنى أسرى بعبده جعله ساريا ، أي سائراً ليلاً فما فائدة قوله بعد ذلك " ليلا " ؟ أجيب بأن فائدته في النظم والآية من قبل هي التأكيد كما قال الجوهري ، أو الإعلام بأنه في جزء من الليل ، كما قال الزمخشري بقرينة تنكيره، لأنه للتعليل ، ولو لم يذكر لاحتمل أن يكون ذلك في الليل كله ، وليس كذلك ، قال الزمخشري : (ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة " من الليل " أي بعضه وإنما خص الليل بذلك دون النهار ، لأنه وقت تفريغ البال ، وقطع العلائق ، وقيل : لأن الله تعالى لما محا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة انكسر خاطر الليل فخير بأن أسرى فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم ولذلك قيل افتخر النهار على الليل بالشمس فقيل : لا تفتخر ، فإن كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج بشمس الأرض في الليل إلى السماء ، وقيل لأنه سراج ، والسراج إنما يوقد في الليل ، وقيل : لأنه سمي بدرا في قوله تعالى " طه " فإن الطاء بتسعة والهاء بخمسة وذلك أربعة عشر فكأنه تعالى قال : يا بدر وهذا يناسب قول الناظم كما سرى البدر ، ولله در القائل حيث قال :

قلت يا سيدي ولما تؤثر الليل ... على بهجة النهار المنير
قال لا أستطيع تغيير رسمي ... هكذا الرسم في طلوع البدور
إنما زرت في الظلام لكيما ... يشرق الليل من أشعة نوري

وقوله " إلى حرم " أي حرم بيت المقدس ، وقوله " كما سرى البدر " أي مثل سير البدر الذي هو القمر ليلة كماله ، وهي ليلة أربعة عشر ، سمي بذلك لأنه يبدر الشمس في الطلوع ، ووجه التشبيه أنه صلى الله عليه وسلم نور مبين كالبدر وأتم ، وقد قطع مسافة عظيمة

في ليل مظلم ، كما يسري البدر المنير في ليل مظلم ، مع سرعة السير وكمال الإنارة ، والداجي : اسم الليل المظلم ، يقال دجا الليل أي أظلم فهو داج أي مظلم فقوله " من الظلم " تكملة أي من ذي الظلم، بضم الظاء وفتح اللام جمع ظلمة ، و " من " للبيان المشوب بالتبعيض ، وفي هذا البيت إشارة إلى قصة الإسراء ، وقد ذكرها الله تعالى بقوله : (سُبْحَانَ ٱلَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَى ٱلَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ) وحاصلها أنه صلى الله عليه وسلم كان في بيته أو في المسجد على اختلاف الروايا في ذلك فجاء جبرئيل وميكائيل ومعهما ملك آخر ، فاحتملاه وشقا صدره[1] ، وغسله جبرئيل ، وملأه علماً وحكمة وإيماناً ويقيناً ثم أتى له بالبراق فركبه وسار جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره حتى وصل إلى بيت المقدس .

وبتَّ ترقى إلى أن نلت منزلة

من قاب قوسين لم تُدرك ولم تُرم (١٠٩)

(١٠٩) قوله " وبت ترقى " إلخ عطف على قوله " سريت " إلخ أي وبعد وصولك إلى بيت المقدس بت ترقى أي تصعد ، فإنه صلى الله عليه وسلم نصب له معراج له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب ، وهو الذي تعرج عليه أرواح المؤمنين ، فدليت له مرقاة فصعد عليها إلى سماء الدنيا ، فاستفتح جبرئيل الباب ، فقيل من بالباب ؟ قال : جبرئيل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به وأهلا ونعم المجيئ جاء ، فلما جاوزالسماء الأولى دليت المرقاة الثانية فصعد إليها إلى السماء الثانية ، وهكذا إلى السماء السابعة ، ثم إلى الكرسي ثم إلى سدرة المنتهى[2] ثم إلى مستوى سمع

١ شق الصدر حدث له صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات : مرة وهو صبي عند حليمة السعدية ومرة عند البعث ومرة عند الإسراء . وكلها ثابتة بالسنة الصحيحة ولا ينكرها إلا مكابر معاند .

٢ كان الأولى أن يقول : (ثم إلى سدرة المنتهى ، ثم إلى الكرسي لأن سدرة المنتهى في السماء السابعة ، إليها ينتهي ما يعرج من الأرض فيقبض منها ، وإليها

فيه صريف الأقلام ثم دلّى له الرفرف وهو سحابة خضراء ، فصعد عليها إلى ما شاء الله تعالى ، وهذا المكان هو الذي أعده الله تعالى للخطاب ، وفرض الصلوات ، وإلا فالله تعالى منزه عن المكان ، وقوله " إلى أن نلت منزلة " غاية لما قبله أي إلى أن أعطيت مرتبة في القرب وقوله " من قاب قوسين " بيان للمنزلة لكن في العبارة قلب ، والأصل من قابي قوسي أي من قدر ما بين قابي القوس ، لأن كل قوس له قابان وبينهما شيئ قليل جدا فبينهما غاية القرب فكذلك بينه صلى الله عليه وسلم وبين المولى فبينهما غاية القرب لكن المراد هنا القرب المعنوي[1] وقوله " لم تدرك " بالبناء للمجهول أي لم يدركها غيرك وقوله " ولم ترم " بالبناء للمجهول أيضاً أي لم يرمها غيرك ولم يطلبها للعلم بأنها ليست إلا لك ، وفي هذا البيت إشارة إلى قصة المعراج وقد ذكرها الله تعالى بقوله : (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) وقد علمت حاصلها .

تعقيب :

قد رأينا بعض الاختلاف بين الشارح والمحقق – يرحمهما الله – ولست أدعي لنفسي أنني أقف موقف الحكم بينهما . كيف ذلك ؟ وأنا لست في العير ولا في النفير كما يقال .

ينتهي ما فوقها فيقبض منها ، والكرسي محيط بالعالم كله وهو جسم محسوس خلقه الله تعالى وجعله مركز إدارة العالم ، وإليه يتجه الناس بالدعاء وطلب الحاجة من الله تعالى لأن الله تبارك وتعالى لا مكان له ، تعالى الله عن الزمان والمكان .

[1] كما تقول إن فلانا أقرب الناس إلى الله فليس معناه أن بين الله والناس مسافة، وهو أقربهم مسافة ، تعالى الله عن المكان ، إنما هو قرب محبة و ود و تكريم ، والمكان الذي وصل إليه المصطفى صلى الله عليه وسلم هابه جبرئيل عليه السلام وقال له : يا محمد أنت إن تقدمت اخترقت وأنا إن تقدمت احترقت ، وأوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلوات ، ومن هذا وغيره علم جبرئيل وغيره من الملائكة أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق عند الله تعالى .

ولكني أذكر أخي القاريء – أذكر فقط – بما سبق أن سجلته عند إعداد حلقات " وضح النهج " وهو شرح " نهج البردة " للإمام الأكبر الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر وهو : يقول صاحب كتاب "محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رسالة ومنهج ، بحث وتحقيق" عند الحديث عن اختلاف الروايات في وقائع الإسراء والمعراج : " بلغ مجموع ما رواه الإمام البخاري في صحيحه نحواً من عشرين رواية عن ستة من الصحابة بين رواية للقصة كاملة تجمع بين الإسراء والمعراج وأخرى تفرد الإسراء عن المعراج وبين رواية مقتطعة من رواية أخرى وأخرى تفرد المعراج عن الإسراء ، أما الإمام مسلم فقد بلغ مجموع ما رواه في الإسراء والمعراج نحواً من ثماني عشرة رواية عن سبعة من الصحابة منها حديث ثابت البناني عن أنس بن مالك وهو أجود الروايات في آية الإسراء والمعراج سياقة وترتيباً ، لذلك آثرنا أن نكتفي به حيث إنه يجمع الإسراء والمعراج في ليلة واحدة ، وقد ضبطت فيه الوقائع والأحداث التي أريها النبي صلى الله عليه وسلم في الأرض وفي السماوات على حد سواء ويليه في الجودة حديث قتادة عن أنس بن مالك في البخاري وليس فيه النزول بالمسجد الأقصى ، ثم حديث أنس عن أبي ذر وهو خاص بالمعراج . وإذا اكتفينا من الصحيحين وهما قمة الصحة في الإسناد بهذا القدر من الاستشهاد على اختلاف الروايات وكلها بأسانيد صحيحة لا مطعن في رواتها وجدنا في غيرهما اختلافاً أوسع وأعمق وأكثر أحداثاً ووقائع كما في مسند أحمد ودلائل البيهقي وغيرهما " بتصرف [1].

وقد جاء ذلك في العدد العاشر من المجلد الثالث والخمسين – رجب ١٤٢٩ / يوليو ٢٠٠٨ – من البعث الإسلامي الغراء . وقد رأينا إتماماً للفائدة أن نذكر هنا الحديث الذي رواه الإمام مسلم – رحمه الله – حتى يعيش القارئ الكريم أحداث هذه المعجزة الكبرى كما جاءت على لسان من أكرمه الله بها صلوات الله وسلامه عليه .

[1] محمد رسول الله ، محمد الصادق إبراهيم عرجون ، دار القلم ، دمشق . الطبعة الأولى ، الجزء الثاني ، ص ٢٥٧ وما بعدها .

أخرج مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أوتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس ، قال : فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ، قال : ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءني جبرئيل بإناء من الخمر وإناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال جبرئيل : اخترت الفطرة . قال : ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبرئيل، فقيل : من أنت ؟ قال : جبرئيل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بآدم ، فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبرئيل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبرئيل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا فرحّبا (بي) ، ودعوا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبرئيل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبرئيل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بيوسف ، إذا هو قد أعطي شطر الحسن ، قال : فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة ، فاستفتح جبرئيل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبرئيل، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بإدريس ، فرحب بي ودعا لي بخير ، قال الله عز وجل : (ورفعناه مكاناً علياً) (مريم/٥٧) . ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة ، فاستفتح جبرئيل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبرئيل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة ، فاستفتح جبرئيل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبرئيل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟

قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبرئيل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبرئيل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ، فإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى ، فإذا أوراقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال ، قال : فلما غشيها من أمر الله ما غشي ، تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن ينعتها من حسنها ، فأوحى الله إليّ ما أوحى ، ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، فنزلت إلى موسى فقال : ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة . قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم ، قال : فرجعت إلى ربي فقلت : يا رب خفف عن أمتي ، فحط عني خمساً ، فرجعت إلى موسى فقلت حط عني خمساً ، فقال إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، قال : فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال : يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة " لكل صلاة عشر " ، فذلك خمسون صلاة ، ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ، ومن همّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب شيئاً فإن عملها كتبت سيئة واحدة ، قال : فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه " .

(رواه مسلم رقم (١٦٢) في الإيمان . باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات)

ولعل الأمر قد ازداد وضوحاً بذلك .

دور الحديث النبوي الشريف في تطوير النثر العربي

(الحلقة الأولى)

بقلم : الأخ محمد سعيد الله بن شيخ نور عين الندوي

(الباحث: في الدكتوراه بالجامعة الملية الإسلامية، بنيو دلهي.)

نال النثر العربي في محيط الجزيرة العربية رواجاً عاماً وانتشاراً مدهشاً في كل جانب من جوانب الحياة الفردية والاجتماعية وبلغ قمّة التطور والازدهار ، إذ أن أعظم وأهم العوامل الباعثة على هذه النهضة الأدبية والنثرية في المجتمع العربي المليئ بإنشاد الشعر وقريض الشعراء كان بزوغ شمس الإسلام الساطعة الوهاجة حاملة رسالة الهداية والسعادة للبشرية جمعاء ونداء رسول الإسلام عليه الصلاة و السلام من قرن جبل فاران بمكة المكرمة يا صباحاه وقولته المدوية المجلجلة "يا أيها الناس! قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"، ونزول القرآن الكريم في ثوب نثري محكم متين من البيان المعجز الرائع .

وكان هذا الانقلاب الجوهري والحركة الإسلامية الضارية بكل منكر وباطل في أمس حاجة إلى بث أفكارها ونشر مبادئها وتقديم مناهجها في المجتمع البشري مع تقويض المبادئ الجاهلية واجتثاث أسسها وفحص زيفها وتشخيص فسادها ودحض أوزارها ومكافحة أتباعها ومجادلة معتنقيها بالدلائل القاطعة والحجج الساطعة وتزييف مزاعمهم الباطلة إلى النثر السلسال والكلام المرسل السهل الممتع ، وكان النثر بهذا المقام أقدر وسيلة وأهمّ أداة بدون شك للقيام بهذه الوظائف الربانية والمسئوليات الدعوية المزدوجة، ومن هنا أصبحت الخطابة والبيان بأسلوب سهل جذاب وسيلة مهمة وأداة فعالة لنشر الدعوة الإسلامية العالمية والصدع بما جاء في القرآن الكريم من أوامر الله سبحانه وتعالى ، وكان رسولنا العربي محمد صلى الله عليه

وسلم قد مكث ثلاثة عشر عاماً بمكة المكرمة يدعو الناس إلى دين الإسلام وينافح عن حظيرة الإسلام وحوزته ، ولا تكاد تسنح له فرصة أو مناسبة ملائمة – إلا ويقوم في الناس من بين أبناء عشيرته أو غيرهم ويتحدث بالخطب البليغة والكلمات الساحرة تفسيراً للقرآن الكريم وتأويلاً لوحيه ، وكان ذلك بالنثر العربي البليغ والكلام المرسل الفصيح يفهمه كلّ من الداني والقاصي ، وبالتالي وجد النثر العربي مجالاً واسعاً للانتشار والذيوع ولا سيّما عندما بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل ويتحدث بكل أمير الركب:

قال الشنقيطي محمد الأمين بن محمد:

ويقول صلى الله عليه وسلم لا أكره أحداً منكم على شئ بل أريد أن تمنعوا من يؤذيني حتى أبلّغ رسالة ربي فلا يقبله أحد بل يقولون: قوم الرجل أعلم به[1].

ونقل الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) في فتح الباري شرح صحيح البخاري ما رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الحاكم من حديث جابر:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالموسم فيقول هل من رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشاً منعوني أن أبلّغ كلام ربي، فأتاه رجل من همدان فأجابه ثم خشي أن لا يتبعه قومه فجاء إليه فقال آتي قومي فأخبرهم ثم آتيك من العام المقبل، قال : نعم فانطلق الرجل وجاء وفد الأنصار في رجب[2].

وتعاظمت أهمية هذه الخطب الرائعة والبيان الساحر بعد الهجرة النبوية التاريخية التي غيرت مضمار الحياة وأحدثت ثورة عارمة في كل شعبة من شعب الحياة الفردية والجماعية وغيرت مجرى التاريخ

---

[1] الشنقيطي محمد الأمين بن محمد، أستاذ مساعد بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقاً: " السيرة النبوية في فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني " ص٦٣٩/١، طبع بدولة الكويت، لم تذكر سنة الطباعة .

[2] أحمد بن حنبل: المسند ٣/ ٣٩٠، ٣/ ٣٢٢- ٣٢٣، وانظر فتح الباري ٧/ ٢٢٠ للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)

لو اجتمعت أقلام أدباء البشرية بأجمعهم وأقبل جلّ كتّاب هذه الكوكبة الأرضية من كل ملة ونحلة ولغة ولسان على الوصف والبيان ما استطاعت وصفها وبيان روعتها وجمالها وجلالها فتعددت دواعي الخطابة والكتابة وكثرت أغراضها وازدوجت حاجياتها ومسئولياتها، فكانت خطب الرسول عليه ألف ألف تحية وسلام تتحدث في بيان مبادئ الإسلام وسلوكياته وتعبر عن رسالته العالمية وفضلها ومنتها على البشرية جمعاء ، كما كانت هذه الخطب والأقوال المصطفوية تسلط الضوء على بيان أنظمة الدولة الإسلامية القائمة في مهجر الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقدم في المدينة المنورة وهي مهجر الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) العدد الهائل الذي لا يأتي عليه الحصر من الوفود والسرايا ولم يعد موكباً وإنما صار طوفاناً من البشر ولجاً طامياً من الناس، الأمر الذي أدى إلى تهذيب اللغة العربية ورواج النثر العربي ، وكان هذا النثر الفياض الزاخر بكلمات متدفقة باليقين الراسخ والإيمان المحكم ومتلاطمة بالحب والحنان والرحمة والنصح للناس جميعاً يؤدي وظيفة النثر العربي في توجيه الناس وتوعية الوفود البشرية وحث المجاهدين المناضلين من أجل نشر رسالة الإسلام وإعلاء كلمة الله في الأرض حين هبت رياح الإيمان والإسلام في بقاع الجزيرة العربية ، فوجد النثر العربي المرسل من خلالها ذلك المناخ الواسع لكي يتقدم ويزدهر ويسود الجو العربي ويتخلى عن السجع والقافية.

يقول الإمام العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي في السيرة النبوية:

> كانت هذه الوحدة اللغوية التي امتازت بها هذه الجزيرة من أهم أسباب تيسير مهمة الدعوة الإسلامية وسرعة انتشار الإسلام فيها ومخاطبة الوحدات العربية المنتشرة، في لغة واحدة هي اللغة العربية الفصحى وبكتاب واحد هو القرآن العربي المبين[٣].

[٣] الندوي سيد أبو الحسن علي الحسني: السيرة النبوية ص٦٧، الطبعة العاشرة، دار الشروق، جدة للنشر والتوزيع ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، المملكة العربية السعودية.

ويقول إبراهيم عبد الخالق: وهو يتحدث عن انتشار وسائل الإعلام والنشر ورواج الكتابة والقراءة فقال:

كان الغالب على العرب قبل الإسلام الأمية وعند ظهور الإسلام فشت الكتابة وكثر الكتاب للحاجة إلى تدوين الوحي والرسائل التي كان يبعث بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء وإن انصرفت نفوس القوم يومئذ عن تدوين علومهم في الكتب وعوّلوا على تسطيرها في صحائف ذاكرتهم، وقد كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من الصحابة وقد أمر بعد غزوة بدر من لم يكن له فداء من الأسرى أن يعلم عشرة من أولاد المسلمين الكتابة[٤].

عندما ننظر إلى أوائل المؤمنين بالإسلام نجد كثيراً منهم كتّاباً مثل الخلفاء الراشدين الأربعة وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعيد بن أبي وقاص وعامر بن فهيرة ومعيقيب بن أبي فاطمة وحذيفة بن اليمان وغيرهم ، وهكذا تيسر للرسول صلى الله عليه وسلم أن يجد حوله جماعة من الكتاب يدونون له ما يمليه عليهم من آيات القرآن الكريم واشتهرت جماعة من الصحابة بكتابة الوحي على رأسهم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب فإن غابا كتب أبي بن كعب وزيد بن ثابت[٥]، كما اشتهر بها أيضاً معاوية بن أبي سفيان[٦].

وأضاف إبراهيم عبد الخالق قائلاً وهو يلقي الضوء على النثر العربي عند مجيئ الإسلام ويستعرض الأدب واللغة ذلك الوقت قائلاً:

إن سنة النمو تشمل اللغات كما شملت المخلوقات، فالنثر قد بلغ في ابتداء الإسلام مبلغاً من

---

[٤] إبراهيم عبد الخالق: خلاصة آداب اللغة ص٢٩- ٣٠، مطبعة أنوار أحمدي بإله آباد الهند اهتم بطبعه محمد إسماعيل اللكنوي بالهند.

[٥] يقول ابن عبد البر "كان زيد بن ثابت ألزم الصحابة بكتابة الوحي ، ابن عبد البر: الاستيعاب ٢٦/١، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

[٦] الزرقاني محمد بن عبد الباقي بن يوسف أبو عبد الله المصري المالكي (ت١١٢٢هـ): شرح الزرقاني على المواهب ٣٢٣/٣، طبع لبنان، بيروت بدون تاريخ.

الكمال والاتساع في وجوه الاستعمال وحسن العبارة لفظاً وأسلوباً بما اكتسبه القوم من بلاغة القرآن والجري على محكم أسلوبه وبما حركوا إليه هممهم من الفتوحات واختلاطهم بالأمم المتمدينة فرقت بذلك عواطفهم ولانت طباعهم وذهبت عنهم الوحشة والتعمق في التراكيب والمعاني وتغيرت أساليبهم التي كانوا يتوخونها أيام جاهليتهم[٧].

ويقول محمد بن حسن الزير وهو يتحدث عن تطور اللغة العربية وازدهار الكلام المرسل وخروج العرب الأولين المثقفين والعائشين في ظل الإسلام عن الصنعة والتكلف والسجع إلى السهولة واللين فيقول:

وقد زخرت الحياة الأدبية في ظل الإسلام بفيض مديد من العطاء الأدبي الخالد، وكان أثر الإسلام في ذلك الأدب واضحاً، حيث نجد الصورة الجديدة للأدب مختلفة عما كانت عليه قبل الإسلام، فقد غير الإسلام طباع العرب من الخشونة إلى السهولة واللين مما جعل أدبهم يتدفق عذوبة وسلاسة في أساليب جزلة رائعة، كما أكسبهم عمقاً في التفكير وسعة في الأفق والمعرفة جعلهم يعبرون بدقة وبصور قوية بارعة تعتمد على البراهين[٨].

وكما ذكرنا أن النثر العربي الطبيعي المرسل قد أصبح يفيض وينطلق في ظل الإسلام الظليل عن عاطفة دينية وإنسانية قوية وحماسة روحانية معنوية يؤججها ويدفعها إيمان قوي عميق ورسالة خالدة شاملة، مما جعل هذا الأدب المتين كأداة قوية ومؤثرة نافذة للتعبير والبيان والكلام الساحر الذي يضرب على الوتر الحساس لنبع حياة البشر وهذا الأدب المحكم المتين يضاد زعم كثيرين من دارسي اللغة العربية

---

٧ نفس المصدر ص٣٠.

٨ الزير محمد بن حسن: القصص في الحديث النبوي دراسة فنية وموضوعية، ص٥٨، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م بالمملكة العربية السعودية.

لما سادتهم في الأوساط الأدبية والعلمية فكرة حدوث الضعف والركاكة والفتور في ميدان الأدب العربي ولاسيما في ساحة قريض الشعر الرائع البليغ خلال فترة النبوة والخلافة الراشدة، ويذهبون في تعليل ذلك مذاهب مختلفة ويأتون من أبواب متفرقة، كما يهملون جانب النثر العربي وقتذاك، ولا يكاد أحدهم أن يلتفت إلى الأمر الواقع فنسمع جعجعة ولا نرى طحناً! وهنا نسرد أقوال أولئك الكتّاب والمؤرخين الذين يقرّرون الضعف والركاكة في الشعر والأدب العربي فمنهم المؤرخ ابن خلدون وها هو يقول:

> ثم انصرف العرب عن ذلك – أي عن الشعر – أول الإسلام بما شغلهم من أمور الدين والنبوة والوحي، وبما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه، فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً[٩].

ويقرر ذلك جرجي زيدان متحدثاً:

> أن الشعر في عصر الراشدين توقف لاشتغال المسلمين عنه بالفتوح[١٠]!

ولكن الواقع الملموس الذي تؤكده الدراسة الجادة المبنية على دراسة الفترة النبوية والثورة العارمة التي حدثت بمجئ الإسلام في بقاع الجزيرة العربية وهزتها هزاً عنيفاً دراسة متأنية شاملة، هو أن الشعر في الإسلام لم يضعف ولم ينفك ولم يهن، وأن الفتوح الإسلامية الواسعة لم تشغل المسلمين عن التقريض وإنشاد الإبيات البليغة والإتيان بالشعر العربي المحكم المتين والنقاش بالأحاديث النبوية ومذاكرتها فيها بينهم بالكلام المنثور المرسل والحوار الساذج الطبيعي البليغ، بل إنها كانت كما يقول النعمان القاضي في "شعر الفتوح الإسلامية":

> فترة حية لم تستطع الظروف القاسية التي رافقتها من حركة الفتح والهجرات والصراع أن تذهب

---

٩ ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد (٨٠٨هـ): مقدمة ابن خلدون ص٥٨١ طبعة مصر ، لم تذكر سنة الطباعة.

١٠ زيدان جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية ١: ١٩٥، نشر دار مكتبة الحياة في بيروت لبنان ١٩٦٧م.

فيها بالمواهب الفنية للنفس العربية التي ألفت الشعر ومرنت عليه[١١].

ويقول شوقي ضيف وهو يسلط الضوء على صورة الأدب العربي في صدر الإسلام وواقع الثقافة الإسلامية وقتذاك كما أنه يرد على تلك المزاعم الباطلة والآراء الخاطئة التي تنطق بأن الأدب العربي في تلك الفترة ضعف وحدث في الشعر فتور وركاكة ووهن ، لانشغال المسلمين بالفتوحات الإسلامية الواسعة ودخول العجم في حظيرة الإسلام أفواجاً وأرسالاً قال:

ودفعتني النصوص الكثيرة في عصر صدر الإسلام إلى نقض الفكرة التي شاعت في أوساط كثيرة من عرب ومستشرقين، إذ ذهبوا يزعمون أن الإسلام انحسر عن أثر ضئيل نحيل في أشعار المخضرمين، وهو زعم غير صائب، بل هو زعم يسرف في تجاوز الحق، فقد أتم الله على الشعراء نعمة الإسلام، وانتظم كثيرون منهم في صفوف المجاهدين في سبيل الله داخل الجزيرة العربية وفي الفتوح، وهم في ذلك كله يستلهمون الإسلام، ويعيشون له، ويعيشون به، يريدون أن ينشروا نوره في أطباق الأرض، وقد مضوا يصدرون عنه في أشعارهم صدور الشذى عن الأزهار الأرجة، وبالمثل صدروا عنه في نثرهم، فإذا هم يستحدثون فنوناً من النثر ينشئونها إنشاء، إذ أنشؤوا على هدي من القرآن آيات بديعة من المواعظ الدينية، كما أنشؤوا ضروباً من المعاهدات والرسائل السياسية والتشريعية[١٢].

---

[١١] القاضي النعمان: شعر الفتوح الإسلامية ص١٢، طبع في بيروت، لبنان، لم تذكر سنة الطباعة.

[١٢] ضيف شوقي: تاريخ الأدب العربي "العصر الإسلامي" ص٥، طبعة دار المعارف بمصر، لم تذكر سنة الطباعة.

وأفاد يحيى الجبوري قائلاً وهو يتحدث عن ذلك العهد الانقلابي والنهضة المدهشة في كل قطاع من قطاعات الحياة وفي جميع شؤون الدولة الإسلامية ونواحي حياة المعتنقين بالإسلام والذين يتابعون الفتوحات الإسلامية ويرد رداً عنيفاً علي أولئك الكتاب الذين ينالون من الشعر ويقللون قيمته الأدبية والفنية في عصر الإسلام الذهبي، فيقول:

إن الشعر كان زاهياً قوياً كثير الفنون واسع الأغراض دفعه الإسلام في دعوته، ووجهه في أغراضه، وأدخله في أتون المعركة الإسلامية بين مكة والمدينة وشارك في شؤون الحياة الإسلامية كافة فصورها ووصفها على قدر ما أتيح له... لقد كان موقف الإسلام من الشعر إيجابياً... لقد اتخذ الدين الشعر سلاحاً ماضياً من أسلحة الدعوة وكان لابد أن يدفع بالشعر في هذه المعركة[١٣].

ونجد أن الدراسة الجادة المتأنية تكشف لنا كثيراً من نواحي الإبداع الأدبي في تلك الفترة النبوية الحاسمة التي ظهرت بعد البعثة المحمدية ونزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين.

يقول عبد الحليم بلبع:

وإلى جانب الخطابة كانت الأمثال والوصايا والحكم التي ظلت امتداداً للفنون الجاهلية، ووجدت في العهد الجديد مجالاً حيوياً للاستمرار والنماء، وفي هذا العهد الإسلامي برز لون نثري جديد هو فن الكتابة والرسائل[١٤]. (للحديث صلة)

[١٣] يحيى الجبوري: الإسلام والشعر طبع في دمشق، الشام، لم تذكر سنة الطباعة.

[١٤] بلبع عبد الحكيم الدكتور: النثر الفني وأثر الجاحظ فيه ص٧٢، لجنة البيان العربي، القاهرة الطبعة الثانية ١٩٦٩م مصر.

الفقه الإسلامي

بعض قضايا فقهية معاصرة حول الإرث والوصية

بقلم : الشيخ محمدمصطفى عبدالقدوس الندوي
(أستاذ التفسير والحديث ، بجامعة الصالحات ، كريه ، تامل نادو)

ومن الأحكام الشرعية الإسلامية أحكام الميراث والوصية ، وقد فصّل القرآن الكريم أحكام الميراث ونوّه شأنها وجعلها فريضة من الله .

واليوم يسكن عدد كبير من المسلمين في الدول غير الإسلامية التي لا تجري فيها ولا تنفذ أحكام الميراث ، وليس فيهم تديُّن وخوف من الله أن ينفذوا على أنفسهم بحسب أحكام الميراث المبينة في القرآن الكريم بصرف النظرعن النفع الذاتي والضررالشخصي ، ومن الورثة من يرى مصلحة نفسه في العمل بالقانون الوضعي ، يفر من العمل بأحكام الميراث الشرعية على وجه العموم ، ونتيجةً لذلك تقسم الأموال المتروكة بين الورثة بدون إجراء أحكام الميراث الشرعية ، ففي هذه الخلفية عدة أسئلة تالية ، والإجابة عنها في ضوء القران والحديث واجتهادات الفقهاء المجتهدين :

حكم الوصية باجراء الميراث بحسب الحصص الشرعية :

١- والدول غير الإسلامية التي لاتجري فيها أحكام الميراث الشرعية ولايعمل بها ، فهل يجب أو يجوز أو يمنع أن يكتب سكانها المسلمون الوصية المبينة فيها الحصص الشرعية لكل وارث بحسب ما في القرآن قبل وفاتهم ، لكي ينال جميع الورثة حصصهم الشرعية بعد وفاة مورثهم بلا نزاع بينهم ، وقد صرح غير واحد من العلماء بأن الوصية مستحبة في حق من لا يرث ، وأما الجواز فقد أجمع عليه العلماء في

جميع الأمصار والأعصار [١].

وقال أبوبكر عبدالعزيز : هي واجبة للأقربين الذين لايرثون ، وهو قول داود ، وحكي ذلك عن مسروق ، وطاؤس ، وإياس ، وقتادة، وابن جرير ، واستدلوا بآية الوصية (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خير الوصية للوالدين والأقربين) البقرة : ١٨ ، وقالوا : نسخت الوصية للوالدين والأقربين الوارثين ، وبقيت فيمن لا يرث من الأقربين ، وهو مذهب ابن عباس والحسن والضحاك ومسلم بن يسار والعلاء بن زياد ، وبه قال سعيد بن جبير ، والربيع بن يونس ومقاتل بن حيان [٢] وقال ابن كيثر : ولكن على قول هؤلآء لا يسمى هذا نسخاً في اصطلاحنا المتأخر، لأن آية الميراث إنما رفعت حكم بعض أفراد ما دل عليه عموم آية الوصاية ، لأن الأقربين أهم ممن يرث ومن لايرث ، فرفع حكم من يرث مما عين له وبقي الآخر على ما دلت عليه الآية الأولى [٣].

واحتجوا بخبر ابن عمر أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: (ما حق امرئ مسلم له شيئ يوصى فيه يبيت ليلتين إلا و وصيته مكتوبة عنده) [٤]

وأما الدول غير الإسلامية التي لا تجري فيها أحكام الميراث ولا يعمل بها ، ولا سبيل إلى أن يسجل المورث ورقة الوصاية قبل وفاته ، التي ينص فيها أسماء الوارثين المتوقعين وتصرح حصصهم الشرعية ، ثم يوصي بأن يعطى فلان وفلان بقدر كذا وكذا من الأموال المتروكة بعد وفاته ، فينبغي أن يجب تسجيل الوصاية بالميراث مع التصريح بالحصص الشرعية للوارثين المتوقعين في الأموال المتروكة في مثل تلك الدول غير الإسلامية ، عملاً بقول أبي بكر عبد العزيز ومن

---

[١] المغني : ٦ | ٤٤٤، ٤٤٥.
[٢] المصدر نفسه ، وتفسير ابن كثير:١- ٢٤٤.
[٣] تفسير ابن كثير: ١- ٢٤٥
[٤] البخاري ، باب الوصايا (٢٧٣٨)، مسلم ، باب وصية الرجل مكتوبة عنده ٤٢٠٣

وافقه من العلماء : إن الوصية واجبة للأقربين الذين لا يرثون ، لكي يحافظ على حصص الوارثين الشرعية ويقام العدل في تقسيم الأموال المتروكة بينهم .

وقال ابن عباس : إن آية الوصاية نسخها قوله تعالى : (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) النساء: الآية/ ٧، وقال ابن عمر : نسختها آية الميراث ، وبه قال عكرمة ، ومجاهد ، ومالك ، والشافعي، ومحمد بن سيرين ، وزيد بن أسلم ، والربيع بن يونس ، وقتادة ، والسدّي ، ومقاتل ، وأبو موسى ، وسعيد بن المسيب ، والحسن ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، وطاؤس ، وإبراهيم النخعي ، وشريح ، والزهري ، والضحاك[٥] . فلم ينسخ آية الوصاية آية الميراث إلا أن تدفع الحصص الشرعية إلى أصحابها ، وأن لايحرم أحد من الورثة من حصته ، هذا هو المقصد الوحيد لنزول آية الميراث ، وهو المقصد الوحيد لنزول آية الميراث ، وإن كان يفوت هذا المقصد أو يخشى على فواته ، فيبنغي أن تكون الوصية واجبة على الورث قبل وفاته بإعطاء كل واحد من الوارثين المتوقعين .

حصته الشرعية في الميراث :

والمعلوم أن أحكام الميراث لا تنفذ ولا يعمل بها تماماً إلا بعد موت المورث ، فيحرم صاحب الحق من نيل حقه نتيجةً ، فإذا أوصى المورث لازماً بإعطاء كل ذي حق حقه في الأموال المتروكة ، فيجد صاحب الحصة حصته فيها لا محالة .

وينبغي أن يجب الإيصاء على المورث الذي أشرف على موته سداً لباب الفتنة والفساد، وهي الظلم على بعض الورثة من حرمانهم من الحصص الشرعية ، وإعمالاً بآية الميراث . ثم هذه الوصية ليست كالوصايا العامة ، وليس فيها حرمان كل الورثة أو بعضهم من الإرث، وليست مخالفة للحديث "لا وصية لوارث" وليس فيها إتلاف حق من حقوق العباد، بل إيصال الحق إلى أهله ، ليس فيها إيثار بعض

[٥] المغني : ٦/ ٤٤٥ ، تفسير ابن كثير : ٢٤٤/١ .

الورثة من غير رضا الآخرين ما يؤدي إلى الشقاق والنزاع وقطع الرحم وإثارة البغضاء والحسد بين الورثة .

ولا بد أن يشهد المورث على هذه الوصية لكي تقام الحجة على من ينكرها أو يريد الظلم ، كما يدل عليه قوله تعالى : شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية (المائدة : ١٠٦) فإنه يدل على اشتراط الإشهاد في الوصية [٦] .

هل تعارض مثل هذه الوصية حديث : لاوصية لوارث ؟

هل هذه الوصية المجملة أو المفصلة تخالف حديث الرسول صلى الله عليه وسلم "لاوصية لوارث" ؟ فيمكن أن تلغى ولا تعتبر شرعاً بسبب المخالفة .

كما مر آنفا أن الإيصاء بتقسيم الأموال المتروكة حسب الحصص الشرعية بين الورثة لا يخالف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "لاوصية لوارث" [٧] ؛ لأن مقصد الحديث دفع الظلم عن بعض الورثة ، وذلك يتحقق إذا أوصى لوارث من ورثته ؛ لأنه يكون حينئذ إيثار بعض الورثة من غير رضا الآخرين ، وذلك يوصل إلى الشقاق والخلاف ، والمخاصمة والنزاع ، وقطع الصلة والرحم ، وبعث البغضاء والحسد بين الورثة ، وإتلاف حق الوارثين الآخرين غير الموصين له ، فلما أوصى بالأموال المتروكة في حق جميع الورثة أن يقسموها بينهم بحسب حصصهم الشرعية الموضّحة في القرآن الكريم فلا شقاق ولا نزاع ، ولا قطع الرحم ولا إثارة البغض والحسد بينهم ، ولذا استثنى بحرف إلا في الحديث الشريف ، وألفاظ الحديث هكذا ....لا وصية لوارث إلا أن تجيز الورثة [٨] ، وفي رواية عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تجوز الوصية لوارث إلا أن يشاء الورثة [٩] . فاتفقت المذاهب الأربعة على ألا تجوز الوصية لوارث إذا لم يجزها الورثة [١٠] .

[٦] عمدة القاري : ١٠/ ٧ - فتح الباري : ٥/ ٤٢٤.

[٧] سنن الدارقطني : ١٥٢/٤ – ١٥٣ أبو داود ، باب في الوصية للوارث (٢٨٧٠)

[٨] نفس المصدر .

[٩] رواه الدارقطني في الفرائض (نصب الراية : ٤/ ٤٠٤)

[١٠] الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي : ٨/ ٤٢

ويظهر بالتأمل والتفكر أن الإيصاء بتقسيم الأموال المتروكة بالعدل وفقاً للشرع الإسلامي بعد وفاته يحقق معنى الحديث ويؤكده ويوافق مقصده وينسجم مع أصله ، لا يخالفه ولا يغايره . فالحاصل أن الوصية الممنوعة الواردة في الحديث المذكور أعلاه ، هي ما كانت تضر أحداً من الورثة ويقصد بها إضراره ، والوصية المذكورة أعلاها ليس القصد بها إلا إيصال حق كل وارث من الورثة إليه تماماً .

مقصد حديث : لا وصية لوارث .

الحديث النبوي " لا وصية لوارث " مورده ومقصده منع المورث أن يؤثر بعض الورثة على بعضهم ، ويخص بعضهم لإعطاء المال أزيد من غيرهم عن طريق الوصاية ؛ لأن ذلك يورث في قلوب الآخرين الحقد والحسد ، ويلقى بين الورثة العداوة والبغضاء والشقاق ، ويؤدي إلى قطع الرحم والصلة والفساد . ويوصل إلى قطع التواد والتراحم ، وإتلاف حقوق بعض الورثة الآخرين وأكل مالهم من غير رضاهم بالباطل . ولذا لا تنفذ الوصية للوارث مهما كان مقدار الموصى به ، إلا بإجازة باقي الورثة ، فإن أجازوها نفذت ؛ لأنهم أسقطوا حقهم ، وإلا بطلت ، وإن أجازها بعضهم دون بعض ، جازت في حصة المجيز ، وبطلت في حق من لم يجز ، بولاية المجيز على نفسه دون غيره ، هذا باتفاق المذاهب الأربعة ، فإنهم قرروا ألا تجوز الوصية لوارث إذا لم يجزها [١١] . ونقل المنذر وابن عبد البر عليه إجماع أهل العلم [١٢] . وجاءت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك كما سبقت بعضها.

وكذلك لو أوصى لأجنبي بما زاد على الثلث ولا وارث له ، تجوز من جميع المال ، كذلك لو أوصى للوارث بالثلث من المال أو أقل منه أو أكثر ، ولا وارث له سواه ، نفذت الوصية ؛ لأنه لا مانع لنفاذها ، وهو حق الورثة الآخرين ، وهم ليسوا موجودين [١٣] .

[١١] المقنع مع المغنى : ٦/ ٤٤٩ . الفقه الأسلامي وأدلته : ٨/ ٤٢ .

[١٢] المغنى : ٤٤٩/٦ ، البدائع : ١٠/ ٥٩٣ - ٥٩٥ ، الهداية وتكملة فتح القدير : ١٠/ ٤٤٨ - ٤٥٦ .

[١٣] راجع : البدائع : ٥٩٣/١٠ ، والدر المختار مع ردالمحتار : ١٠/ ٢٨٥ ، عمدة القاري : ١٦/١٠ .

وليس مورد الحديث " لا وصية لوارث "، ما أوصى المورث بجميع الأموال المتروكة لجميع الورثة ، أن يقسموها بعد موته بحسب حصصهم الشرعية ، فلا تأتي هذه الوصية تحت منع الحديث ؛ لأنه ليس فيها ظلم على أحد من الورثة ولا إتلاف حقه ، ولا تتسبب حدوث البغضاء والحسد والشقاق والنزاع فيما بينهم .

هل يرث المسلم الكافر وعكسه ؟

هذا مما اتفق عليه الفقهاء أن الكافر لا يرث المسلم ولا المسلم الكافر ، ولكن يرى في العصر الراهن في الدول غير الإسلامية في بعض الأوقات ، أن المسلم يكون مورثاً ، ومن ورثته يكون بعضهم مسلمين وبعضهم كافرين ، فإن كان هؤلاء الوارثون مسلمين أيضاً ، يجدون حصتهم الشرعية في الميراث حسب القانون الإلهي ، وهو الإسلام ، والواضح الحالي هذا أن حصتهم في الميراث تؤخذ من أموال المورث المسلم المتروكة خلفه تحت القانون الملكي الوضعي المخالف للإسلام ، وتدفع إليهم على رغم كفرهم وشركهم واعتقادهم الباطل ضد الإسلام ، كذلك إن كان المورث كافراً ، وفي أقاربه الوارثين مسلمون أيضاً ، فإن كان هؤلاء الأقربون المسلمون الوارثون من غير المسلمين ، يرثون في أمواله المتروكة تحت ظل قانون الإسلام ، فهؤلاء الورثة المسلمون يورّثهم القانون الملكي الوضعي أيضاً في أموال مورثهم الكافر المتروكة ، وإن أبوا من قبول حصتهم في المتروكة ، تقسم بين أقاربهم الوارثين الآخرين غير المسلمين ، فالسؤال ينشأ هناك في هذه الخلفية ، هل يجوز للمسلمين أن يستفيدوا من القانون الملكي الوضعي ، ويأخذوا حصتهم في أموال مورثهم الكافر المتروكة ؟ أو ينزلون عنها .

ولا شك فيه أن الكافر لا يرث المسلم ، هذا أمر مجمع عليه بين أوساط الفقهاء [١٤] ، وأصل مطرد معروف لدى عامة الناس ، كما

[١٤] أما الكافر فإنه لايرث المسلم بالإجماع (عمدة القاري : ١٦/ ٤٥. فتح الباري : ١٢/ ٥٩)

يدل عليه عموم قوله تعالى : (لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) [النساء : ١٤١] .

وأما المسلم فهل يرث من الكافر أم لا ؟ فيه اختلاف بين العلماء ، فقالت عامة الصحابة رضي الله عنهم منهم علي رضي الله عنه : لا يرث، وهو مذهب علماء الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة ؛ لأن اختلاف الدين بين المورث والوارث بالإسلام وغيره مانع من الإرث باتفاق المذاهب الأربعة ، فلا يرث المسلم كافراً ، كما لا يرث الكافر مسلماً ، سواء بسبب القرابة أو الزوجية[١٥] .

واستدلوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لايرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم[١٦] . وقال الإمام محمد بعد رواية هذا الحديث عن أسامة بن زيد رضي الله عنه مرفوعاً : وبهذا نأخذ ، (والكفر ملة واحدة) يتوارثون به وإن اختلفت مللهم ، يرث اليهود النصراني والنصراني اليهودي ، وهو قول أبي حنيفة والعامة من فقهائنا[١٧] .

وذهب معاذ بن جبل رضي الله عنه ، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، والحسن رحمة الله تعالى ومحمد بن الحنفية ، ومحمد ابن علي بن حسين ومسروق إلى أن المسلم يرث من الكافر ولا يرث الكافر منه[١٨] . واحتجوا بحديث " الإسلام يعلو ولا يعلى " أخرجه الطبراني في الأوسط ، والبيهقي في الدلائل مرفوعاً ، والدارقطني من حديث عائذ بن عمرو ، وأسلم بن سهل في تاريخ واسطه من حديث معاذ ، كذا ذكره الحافظ في الدراية[١٩] .

يمكن أن يقال مستفيداً من اختلاف أصحاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – ومن بعدهم من الفقهاء المجتهدين في حق من وطّن

١٥ الفقه الإسلامي وأدلته : ٢٦٣/٨

١٦ البخاري ، الفرائض ، باب لايرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم ، وإذا أسلم قبل أن يقسم الميراث فلاميراث له (٦٤- ٦٧) .

١٧ الموطأ للإمام محمد ، ص : ٣٢٠ .

١٨ عمدة القارئ : ١٦/ ٤٥ ، فتح الباري : ١٢/ ٥٨ .

١٩ التعليق الممجدعلى الموطأ للإمام محمد ، ص : ٣٢٠ .

وأقام في الدول غير الإسلامية ، نظراً إلى قانونها الوضعي الجبري أن الورثة المسلمين يرثون من مورثهم الكافر ، ويأخذون حصصهم الشرعية المدفوعة إليهم من أمواله المتروكة ولاينزلون عنها ، لما في تركها إعانة غير المسلمين على كفرهم وشركهم ، وتثبيت أقدامهم فيهما ، ثم القاعدة الفقهية : الغرم بالغنم .

ثم تتقاضى مصلحة الدعوة إلى الله ان يقبل الورثة المسلمون حصصهم الشرعية المدفوعة إليهم من قبل مورثهم الكافر تحت القانون الملكي الوضعي ، والمصلحة هي أن المسلمين الجدد الأحدثين إذا علموا أنهم يرثون من مال مورثهم الكافر فلا يرتدون عن الإسلام، وعلى عكسه إذا علم شخص أنه إن دخل في الإسلام حرم من الإرث في مال والده الغني وأمه الثرية ، فلايرغب في الإسلام ، فيتسبب ذلك مانعا من إشاعة الإسلام مآلاً ؛ لأن المادية غلبت واستولت على أذهان الناس وعقولهم، ونفذ حب المال والدينا في قلوبهم أكثر في هذا الزمان .

وقد سئل المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث عن توريث المسلم من أقاربه غير المسلمين ، فأجاب في القرار رقم واحد في الدورة الخامسة ما نصه : " يرى المجلس عدم حرمان المسلمين ميراثهم من أقاربهم غير المسلمين ومما يوصون لهم به ، وأنه ليس في ذلك ما يعارض الحديث الصحيح (لايرث المسلم الكافر ، ولاالكافر المسلم)، الذي يتجه حمله على الكافر الحربي ، مع التنبيه إلى أنه في أول الإسلام لم يحرم المسلمون من ميراث أقاربهم من غير المسلمين ، وهو ما ذهب إليه من الصحابة معاذ بن جبل رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ومن التابعين جماعة ، منهم : سعيد بن المسيب ، ومحمد بن الحنفية ، وأبو جعفرالباقر ، ومسروق بن الأجدع، ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم " [٢٠]

ثم هناك طريق آخر للتواصل والتحابّ والتعاطف والتلاطف بين

[٢٠] قرارات وفتاوى المجلس الاوروبي للإفتاء والبحوث ، رقم القرار : ٥/١ ، فتوى (١٩) ، ص/١٣٧- ١٣٨

الورثة الكافرين ومورثهم المسلم وعكسه ، وهو أن يوصى المورث المسلم للوارث الذي هو يبقي على الكفر والشرك إلى الآن ، وكذلك يجوز أن يوصي المورث الكافر للوارث المسلم ، لقوله تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين [الممتحنة/٨] . ولأنه لما جاز التبرع من الجانبين في حالة الحياة فكذلك بعد الممات[٢١] .

تعيين الحصص الشرعية للوارثين في الحياة

وفي بعض الأحيان يعيّن المورث الحصص الشرعية لكل الأولاد في الحياة لكي يقسموا أمواله المتروكة فيما بينهم حسب ما قال المورث ، ولايختلفوا في التقسيم بعد مماته ، ولا يقع النزاع بينهم عند القسمة بعد وفاته . ويلاحظ في تعيين الحصص نسبة حقوق الميراث على وجه العموم ، ولكن هذا وصية من جهة أنه لايوهب ورثته في الحياة ، بل يريد تقسيمه بعد مماته وفقاً لمشيئته ، فهل هذه الصورة تعتبر وصية صحيحة ؟

ومن الحقائق أن الهبة كالصدقة باعتبار أن كل واحد منهما إيجاب الملك للحال[٢٢] . والوصية تشبه الميراث من حيث إنها تملك بالموت، وتشبه الهبة من حيث إنها تملك بتمليك الغير[٢٣] .

فهذه الوصية تعتبر ؛ لأنها لا تتعين لوارث دون وارث ، بل تعم جميع الورثة ، فلا يتضرر أحد من الورثة ولا ينتقص حقه في الميراث ، بل يجد كل واحد منهم حصته الشرعية ،[٢٤] ثم هذه الوصية لاتخالف حكم الميراث ، بل تؤيده وتقوّيه ، وتحقق معناه ومقصده ، وتقيم ميزان العدل بينهم ، وتمنع أن يظلم بعضهم على بعض .

---

٢١ الهداية مع تكملة فتح القدير : ٤٥٧/١٠ .

٢٢ راجع : البدائع : ٥٩٢/١٠ .

٢٣ العناية مع تكملة فتح القدير : ١٠/ ٤٥٩ .

٢٤ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ...لاضرر ولاضرار ... (رواه مالك في الموطأ ، باب الأقضية في المرافق (٢٢٦)، والحاكم في المستدرك : ٥٧/٢. ويّحقق معناه في هذه الصورة .

وفي هذه الصورة جهة الوصية غالبة ؛ لأن الهبة لا تتحقق إلا إذا كان إيجاب الملك فيها للحال دون المستقبل ؛ لما روي عن أبي بكر الصديق وعمر وعثمان بن عفان وعلي و ابن عباس رضي الله عنهم أنهم قالوا : لا تجوز الهبة إلا مقبوضة [٢٥] ولم يرد عن غيرهم خلافه ، فصار إجماعاً [٢٦] .

هل تعتبر إجازة الورثة بعد موت المورث أو قبله أيضا ؟

كما مر أن الوصية لا تجوز لوارث ، إلا أن يجيزها غيره من الورثة . فاستثنيت الوصية التي أجاز فيها الورثة الآخرون ورضوا بها من الوصية الممنوعة ، هناك سؤال آخر ، وهو أن إجازة الورثة الآخرين ورضاءهم تعتبر بعد موت المورث أو في حياته أيضاً ؟ كمثال : رجل كتب الوصاية لأحد من أولاده نظراً إلى عجزه عن الكسب أو إلى خدمته ، حققها له بإذن الورثة ورضاهم ، وحصّل عليها توقيعهم ، ولم يكتب له الهبة ؛ لكي لايخرج الشئ الموصى به من يده ، فهل هذا الرضا والتوقيع منهم يكفي لتنفيذ الوصاية بعد وفاته ؟

ويشترط لصحة الإجازة شرطان :

الأول : أن يكون المجيز من أهل التبرع عالماً بالموصى به ، يعني أن يكون بالغا عاقلا غير محجوز عليه لسفه أو عته أو مرض موت ، وأن يكون عالماً بالموصى به ، فلاتجوز إجازة صغير ومجنون ومريض مرض الموت ، ولاتصح إجازة وارث لم يعلم بما أوصى به الموصي ، وقال الحنابلة : لوأجاز مريض فمن ثلثه .

والثاني : أن تكون الإجازة بعد موت الموصي ؛ فلا عبرة بإجازة الورثة في حال حياة الموصي : لأنها قبل ثبوت الحق ، إذا التحق يثبت لهم عند موته ، فإن أجازوها في حال حياته فلهم أن يردوها بعد وفاته ، بخلاف إجازتهم ما بعد الموت ؛ لأنه بعد ثبوت الحق فليس لهم أن يرجعوا عنه . وعلى هذا قالوا : لو أجازوها حال حياة

٢٥ انظر : كتاب الآثار لأبي يوسف : ١٦٣/١ (٧٤٩) ، وموطأ الإمام محمد : ٣٤٩، و كتر العمال : ٣٢٧/٨،والتمهيد لأبي عبدالبر : ٢٣٩/٧ .

٢٦ البدائع : ١١٤/٨ .

المورث ، ثم ردوها بعد وفاته ، صح الرد وبطلت الوصية ، سواء أكانت الوصية للوارث أم لأجنبي بما زاد عن ثلث التركة .

وهذا رأي الحنفية والشافعية والحنابلة ، وكذا قالت المالكية[٢٧] . وقال ملك العلماء الكاساني : " ولاخلاف في أنهم إذا أجازوا بعد موته، ليس لهم أن يرجعوا بعد ذلك "[٢٨] . وقال الحافظ ابن حجر : " فالجمهور على أنهم إن أجازوا في حياة الموصي كان لهم الرجوع متى شاءوا وإن أجازوا بعده نفذ "[٢٩] . وفي الموسوعة الفقهية : " أن تكون الإجازة بعد موت الموصي عند جمهور الفقهاء، فلا عبرة بإجازة الورثة في حال حياة الموصي "[٣٠] .

وفي الجملة كما قال الدكتور وهبة الزحيلي نقلا عن ابن جزي : "إذا أجاز الورثة الوصية بالثلث لوارث أو بأكثر من الثلث ، بعد موت الموصي ، لزمهم ، فإن أجازوها في صحته لم تلزمهم ، وإن أجازوها في مرضه ، لزمت في حق من لم يكن في عياله ، دون من كان تحت نفقته "[٣١] .

وأما رجوع المجيزين للوصية للوارث بعد ما أجازوها في حياة الموصي بعد وفاته ، فاختلفوا فيه ؛ فقالت طائفة : ذلك جائز عليهم وليس لهم الرجوع فيه . هذا قول عطاء بن أبي رباح وطاؤس والحسن وابن سيرين وابن أبي ليلى والزهري وربيعة والأوزاعي . واستدلوا بأن المنع إنما وقع من أجل الورثة ؛ فإذا أجازوه جاز .

---

٢٧ البدائع : ٥٩٤/١٠ ، الهداية مع تكملة فتح القدير : ١٠ /٤٤٨ ، ٤٥٦ . الدرالمختار وردالمحتار : ١٠/ ٢٧٩، ٢٨٥ ، القوانين الفقهية ص : ٤٠٦ ، فتح العلي المالك : ١/ ٣٢٢ وما بعدها ، روضة الطالبين للنووي : ٥/ ١٠٥ ، الفقه الإسلامي وأدلته : ٤٢/٨ .

٢٨ البدائع : ٥٩٥/١٠ . وقال القرطبي : " واتفق قول مالك والثوري والكوفيين والشافعي وأبي ثور أنهم أجازوا ذلك بعد وفاته لزمهم " (الجامع لأحكام القرآن : ٢/ ٢٦٢) .

٢٩ فتح الباري : ٥/ ٤٦٩ .

٣٠ فتح الباري : ٤٣/٤-٤٧ .

٣١ الفقه الإسلامي وأدلته : ٤٢/٨.

وقالت طائفة : لهم الرجوع في ذلك إن أحبّوا . هذا قول ابن مسعود وشريح والحكم وطاؤس والثوري والحسن بن صالح وأبي حنيفة والشافعي و أحمد وأبي ثور ، واختاره ابن المنذر ؛ لأن الورثة أجازوا شيئا لم يملكوه في ذلك الوقت ، وإنما يملك المال بعد وفاته .

وفرق الإمام مالك فقال : إن أذنوا في صحته فلهم أن يرجعوا ، وإن أذنوا له في مرضه حين يحجب عن ماله فذلك جائز عليهم ، وهو قول إسحاق ؛ لأن الرجل إذا كان صحيحاً فهو أحق بماله كله يصنع ماشاء ؛ فإذا أذنوا له في صحته فقد تركوا شيئاً لم يجب لهم ، وإذا أذنوا له في مرضه فقد تركوا ما وجب لهم من الحق ؛ فليس لهم أن يرجعوا فيه إذا كان قد أنفذه لأنه قد فات[٣٢] .

حكم ما أوصى رجل لزوجته

من لم يكن له ولد ، يتمنى طبعاً أن يحفظ حق زوجته المتخلفة بعد وفاته ، ولا تبقى مخذولة مهجورة ، لامجيب لها ولامعين .

ففي هذه الصورة إن أوصى رجل لزوجته في حياته ، التي تصير أرملة بعد وفاته ، ولم يكن له وارث آخر يرثه مع زوجته ، فهل تعتبر هذه الوصية شرعاً وتنفذ ؟

هذه الوصية تعتبر وتنفذ شرعاً ؛ لأنه مانع ثمة لصحتها وتنفيذها ، ولا إتلاف حق وارث آخر . قال المفسر الكبير أبوبكر الجصاص : " قال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد وزفر والحسن بن زياد : إذا لم يكن له وارث ، فأوصى بجميع ماله جاز ، وهو قول شريك بن عبدالله "[٣٣] .

وفي الدرالمختار وردالمحتار : " لوأوصى لزوجته ، أو هي له ، ولم يكن ثمة وارث آخر تصح الوصية ... كونه غير وارث أي إن كان ثمة وارث آخر ، وإلا صح كما لو أوصى أحد الزوجين للآخر ولا وارث غيره "[٣٤] . وعلّله الكاساني بقوله : " لأن امتناع النفاذ في الزيادة لحقه ،

[٣٢] راجع : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٢ / ٢٦١ – ٢٦٢ .
[٣٣] أحكام القرآن للجصاص : ٢ / ١٢٥ .
[٣٤] الدر المختار ورد المحتار : ١٠ / ٣٣٧ ، ٣٤٧ .

فإذا أجاز فقد زال المانع "[٣٥] . هناك لم يكن وارث سواها فلم يوجد المانع ، فتصح الوصية وتنفذ بلا خلاف بالدرجة الأولى .

وفي المطالب للفقه الحنبلي : " ولو أوصى أحدهما أي أحد الزوجين للآخر بكل ماله ولا وارث له غيره ، فله أي الموصى له كله، أي كل المال ، فيأخذ جميعه إرثا و وصية على الصحيح من المذهب ؛ لأنه لا يرد عليهما " [٣٦] .

حكم ما أوصى لوارث او لاجنبي بأكثر من الثلث

إن أوصى مورث لوارث أو لأجنبي ، ولم ينكر عليه أحد من الورثة الآخرين بل رضوا به في حياته ، فالسؤال أن هذه الوصية تعتبر وتصح شرعاً ويجب تجديد رضاهم بعد وفاته أيضاً أو يكفي رضاهم السابق ؟

كما سبق مفصلا أن الوصية لوارث لا تصح إلا أن يجيزها الورثة الآخرون ، كذلك لا تنفذ الوصية لأجنبي بأكثر من الثلث إلا بإجازتهم ، ثم إن هذه الإجازة لا تكفي في حياة المورث ؛ بل لا بدّ أن تتحقق بعد وفاته أيضاً ؛ لأن حقهم في مال المورث لا يثبت أصلا إلا بعد وفاته ، كما اتفق عليه المذاهب الأربعة [٣٧] ، وهو قول الثوري ومالك وأبي ثور والشافعي والكوفيين ، فقالوا : إنهم إن أجازوا بعد وفاته لزمهم[٣٨] .

فلا تكفي إجازة الورثة الآخرين في حياة المورث ولاتصح الوصية حتى يجددوها بعد وفاته فتصح الوصية وتعتبر وتنفذ شرعاً .

---

[٣٥] البدائع : ١٠ / ٥٩٣ .

[٣٦] مطالب أولى النهى ، الوصايا : ٤/ ٤٤٨ .

[٣٧] " ولاتنفع إجازتهم في حال حياته ؛ بل لا بد من الإجازة بعد موته " (كتاب الفقه على المذاهب الأربعة : ٣ / ٣٢٠) .

[٣٨] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٢ / ٢٦٢ .

من أعلام التاريخ الإسلامي

العلامة شبلي النعماني
شخصيته العملاقة، وماثره الخالدة

بقلم : سماحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي

تعريب : محمد فرمان الندوي

(هذا المقال فاضت به ريشة قلم العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء العام بمناسبة المهرجان المئوي لدار المصنفين بأعظم جراه ، (الهند) في ٢٩ — ٣٠ نوفمبر وأول ديسمبر ٢٠١٤ م ، وقد شرّف سماحته المهرجان بقدومه ، ورأس الجلسة الافتتاحية ، وألقى كلمة رئاسية جامعة حول الموضوع ، وكان هذا المقال قد أعد بالمناسبة ، وهو يشتمل على معان عالية ومواد دسمة حول شخصية العلامة شبلي النعماني ودار المصنفين ودار العلوم لندوة العلماء ، ننشره تعميماً للنفع . التحرير)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وإمام المرسلين والمتقين ، محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد :

فإن الفترة التي كانت قبل عام ١٨٥٧ م في شبه القارة الهندية، والتي كانت بعدها قد مرّ فيها سكانها وخاصة المسلمون الذين حكموها من مدة غير قصيرة ، بمراحل صعبة ، لكن كانت أوضاع هاتين الفترتين مختلفة جداً ، فكانت تواجه الهند وسكانها والحكام المسلمون فيها قبل ١٨٥٧ م تحديات شديدة تجاه حكومتهم ، إلا أن نظام البلاد المنهار كان مستمراً على علاته ، وكان جل مجهودات المسلمين تنحصر في صيانة حكوماتهم والبقاء عليها ، لكن القوى المعادية للإسلام ظلت تنسج خيوط المكر والدهاء لاستعباد هذه القارة، وإزاحة أمرائها عن عرش حكوماتهم ، فنجحوا في ذلك إلى حد كبير ، وانتقل زمام البلاد إلى أعدائها ، فأحدث الشعب الهندي ثورة ١٨٥٧ م لاستعادة البلاد من يد المستعمر، ولكن أخفقت وسببت ضعف

همم سكان البلاد ، ففكر أولو الهمة العالية في اكتشاف طرق لإصلاح الأحوال الطارئة بذكائهم وفراستهم ، فعنوا بالتعليم والدراسة وكانوا يدركون أهمية العلم وتأثيره في رقي الأمم وازدهارها .

نظراً إلى خطورة الأوضاع تأسست كلية علي جراه التي يرجع فضلها إلى جهود سر سيد أحمد (رحمه الله) فقد اعتبر تدهور المسلمين في التعليم العصري سبباً رئيسياً لانحطاطهم ، وكانت نظرته هذه صائبة إلى حد كبير ، فعني بها عناية خاصة ، ثم ظهرت جهوده في صورة جامعة علي جراه الإسلامية ، هذا في جانب ، وفي جانب آخر تمَّ إرساء قواعد مدرسة ديوبند التي كانت ذريعة لصيانة العلوم الإسلامية وتقوية أسباب التشخص الإسلامي ، فنهض كبار علماء هذا العصر بقوة وهمة بالغتين ، وبذلوا مساعي مكثفة في تحرير الهند من الاستعمار الانجليزي ، وكان في مقدمتهم الحاج إمداد الله المهاجر إلى مكة (١٣١٧ هـ) وخلفاؤه الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي (١٣٢٣ هـ) والشيخ محمد قاسم النانوتوي (١٢٩٧ هـ) ، كانت مناهج هاتين المؤسستين (كلية علي جراه ، ومدرسة ديوبند) مختلفة بعضها من بعض ، لكن كانت غايتهما واحدة ، وهي أن يعيش المسلمون كأمة ، ويحتفظوا بمكانتهم وقيمهم الدينية ، إن المسئولين عن كلية علي جراه اختاروا في التعليم منهجاً فكرياً لأوربا ، وانسجموا مع المنهج العملي الأوربي ، فإن المثقفين الذين كانوا يوافقون آراء سر سيد وينالون شدة اهتمامه بالموضوع ببالغ العناية ، أدركوا أيضاً رقي الأمة وصلاحها في التعليم ، وقد أيد العلامة شبلي النعماني الذي كان يحمل بصيرة عالية في عصره نظرة هؤلاء المثقفين الأساسية ، وقدّم لهم مساعدة لازمة ، لأن الانجليز كانوا مسيطرين على البلاد ، وكان لا يعتقد كلياً منهج وفكرة سر سيد أحمد سديداً في صالح الأمة ، وكان العلامة شبلي يتوخى أن تنقرض سلطة الانجليز من البلاد ، فآثر منهجاً تعليمياً جامعاً بين المناهج التعليمية ، يتميز ببراعة فائقة في العلوم الشرعية بجانب حل قضايا الأمة الإسلامية فقرر أنه لا مانع في اختيار وسائل المنهج التعليمي الغربي ، التي تقوي الحياة وتدعمها دعماً ، واختيار الأسباب التي تستوفي متطلبات الأمة

القومية والدينية ، ويعتقد مثل ذلك أهل البصر والبصيرة من البلاد ، كان على رأسهم الشيخ محمد علي المونغيري وغيره من العلماء ، فأسسوا مؤسسة جامعة تحت رئاسة الشيخ محمد علي المونغيري ، عرفت بـ " ندوة العلماء " ساهم العلامة شبلي النعماني في تأسيسها ووضع نظامها مساهمة بارزة ، وظل مشتغلاً بكل شوق ورغبة بتحقيق برامجها التعليمية .

إن ندوة العلماء كانت تتوخى من خلالها صياغة منهج تعليمي يستوفي بمتطلبات العصر ، ثم إعداد علماء واسعي الثقافة ممن يدركون سير الزمان ، ويبعدون كل البعد عن التقسيم المصطنع المهين بين القديم والجديد ، ثم إزالة الخصومات الداخلية بين أهل المذاهب الفقهية ، وإيجاد الوحدة التي هي حاجة الوقت ، وقد ذكرت هذه الأهداف في تاريخ ندوة العلماء كما يأتي :

١. إنشاء عواطف الإيثار في العلماء
٢. إعداد علماء ماهرين باللغة الانجليزية
٣. تربية خطباء وكتاب إسلاميين في طبقة العلماء وفقاً لمقتضيات العصر
٤. تخريج دعاة ومبلغين للإسلام ينشرون الدين في بلدان غير إسلامية (تاريخ ندوة العلماء : ج ١ / ٩)

تحقيقاً لهذه الأهداف واصل العلامة شبلي النعماني جهوده مع علماء الهند الأفاضل ، فأثمرت الجهود بحمد الله وفضله ، وكان العلامة السيد سليمان الندوي خير مثال في هذا الشأن ، يقول في افتتاحية مجلة " معارف " عام ١٩٣٣ م :

" كان من متخرجي دار العلوم لندوة العلماء الشيخ زين العابدين الندوي ، الذي اشتغل بشئون الدعوة والتبليغ بعد إكمال دراسته ، فسافر بنفسه إلى أمريكا ، وأقام فيها منذ سنوات ، تلقينا أمس رسالة له من أمريكا ، سررنا بأن أحد أبناء جامعتنا يحقق أهداف ندوة العلماء ، وقد خرجت ندوة العلماء أمثاله عشرات من

العلماء ، الذين كانوا متحلين بالثقافة العصرية أو ماهرين باللغة الانجليزية مع العلوم الدينية ، وبما أن المسلمين لم يفسحوا لخدمة أمثال هؤلاء العلماء مجالاً ، لكي يكونوا أساتذة ومعلمين في المدارس الإنجليزية والكليات العصرية ، فليعتبر إخواننا المثقفون بالثقافة العصرية من همة الشيخ زين العابدين الندوي ، وليأخذوا درس الجراءة الذاتية لخدمة الأمة حسب مستواهم ، وينشؤا في الأمة الثقة بالنفس والاعتبار بالذات " . (الشذرات السليمانية :ج ١ / ٢٧٧)

سارت ندوة العلماء سيرها الطبيعي وفق منهاجها ، وظل العلامة شبلي النعماني يُشرف على الجيل الذي يتربى تحت هذا النظام التعليمي علمياً وفكرياً .

إن السمة البارزة للعلامة شبلي النعماني هي شدة اهتمامه بقضايا الأمة الإسلامية ، فقد تجلت فيه منذ ريعان شبابه ، وتركزت جهوده القومية عليها ، وكان نصب عينه صياغة أذهان المسلمين وغير المسلمين بصفة خاصة ، لأنه رأى أن أذهان الطبقة المثقفة قد تأثرت بالفكرة الغربية ، وإن ما حاول الكتاب الأوربيون والمفكرون الغربيون من تشويه العهد الإسلامي الذهبي ، وطمس مآثر الشخصيات الجليلة بدراساتهم التاريخية في أذهان الطبقة المثقفة المسلمة قام العلامة شبلي النعماني بإزالته أحسن قيام ، وأنجز أعمالاً تاريخية ودراسات واسعة بقلمه ، فعرض في أسلوب علمي رصين سيرة العبقريات الإسلامية من تاريخ الإسلام ، مما سبب إلى إزالة مركب النقص الذي ساد عقول الشباب المسلمين الذين تربوا في أحضان التعليم الغربي ، فأسدل المستشرقون ستاراً سميكاً على خدمات الشخصيات الإسلامية العظيمة، التي فاقت رقماً قياسياً في خدماتهم العلمية ، عرض العلامة شبلي النعماني سيرة عدد منها مع بيان مآثرهم الجليلة في أسلوب علمي عصري ، يشهد به مؤلفاته : الفاروق والغزالي والمامون وسيرة النعمان ، أما مؤلفه القيم سيرة النبي (على صاحبها ألف ألف سلام وتحية) فيحمل ميزة فريدة من نوعها ، كما قام العلامة بخدمات بارزة في الأدب والنقد ، ومؤلفه " شعر العجم " خير مثال لذلك.

أثرى العلامة شبلي النعماني التاريخ الإسلامي بمآثر جليلة وفقاً لضوابط علمية جديدة ، كما قام بالإبداع في النواحي العلمية والأدبية، وإنجازاً لهذا المشروع المهم فكر في تأسيس مؤسسة مستقلة تقوم في مجال التحقيق والتأليف في أسلوب جديد بغاية من الاهتمام باسم دار المصنفين ، خطط هذا المشروع في آخر أيام حياته ، وإن لم يوف عمره بتحقيقه وتأسيسه على أرض الواقع ، لكنه أعدّ طائفة من تلامذته ، حققت أحلامه بجودة وإتقان ، فمن تلامذته الذين قلدوا أسلوب تحقيقه وتأليفه بواسطة دار المصنفين ونشروه وقاموا بإعداد تأليفات نافعة ، كان في مقدمتهم العلامة السيد سليمان الندوي والشيخ عبد السلام الندوي ، فقد أسهم كلاهما وآخرون من زملائهما لتحقيق هذه الغاية إسهاماً بارزاً ، وكانت صلة هؤلاء المسئولين بندوة العلماء ، لكناؤ وطيدة ، اتباعاً وتذكاراً للعلامة شبلي النعماني ، فظلت كلتا المؤسستين متصلتين بعضهما ببعض .

نذكر على سبيل المثال الشخصيات التي كانت بارزة في هذا الشأن ، هم العلامة السيد سليمان الندوي ، والشيخ مسعود علي الندوي ، والشيخ رياست علي الندوي ، والشيخ معين الدين أحمد الندوي ، والشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي ، والشيخ عبد السلام القدوائي الندوي ، والشيخ محمد أويس النجرامي ، والشيخ مجيب الله الندوي وغيرهم ، فقد أعد هؤلاء العلماء مؤلفات علمية وفكرية نافعة ، كانت تعبيراً صادقاً عن رؤيا العلامة شبلي النعماني ، وقد أدت هذه المؤسسة العظيمة دوراً كبيراً ، اعترف به العلماء المعاصرون .

بهذه الاهتمامات البالغة قضى العلامة شبلي النعماني ٣٧ / عاماً من حياته ، ثم أسهم إسهاماً كبيراً في تأسيس مؤسسة جامعة في صورة ندوة العلماء ، وكانت علاقته وطيدة بها منذ تأسيسها إلى آخر أيام حياته التي تغطي ٢٠ / عاماً ، وقبل وفاته بأيام فكر في إنشاء دار المصنفين لخدمة الأمة الإسلامية ، وانتقل إلى رحمة الله في عام ١٩١٤م، وقد مرّت على وفاته وتأسيس دار المصنفين مأة عام ، فيقام

هذا المهرجان لإلقاء الأضواء على جهوده العلمية والملية وخاصة على مشروعه العملاق دار المصنفين .

تبنى العلامة شبلي النعماني في مؤلفاته أسلوباً عصرياً ، كان يقع به كل موقع لدى العلماء المعاصرين ، ثم أنجز المسئولون عن دار المصنفين أعمالاً تأليفية في هذا الأسلوب وعرض صورة رائعة للتاريخ الإسلامي في أسلوب علمي موثوق به ، ولا شك أن جميع مؤلفات دار المصنفين قيمة ومتسمة بهذا المنهج ، وقد أصدرت دار المصنفين مجلة علمية شهرية باسم " معارف " أيضاً ، لا تزال تتحف المكتبة الإسلامية بالبحوث العلمية النافعة للأمة الإسلامية .

فالآن حينما يكمل قرن كامل على وفاة العلامة شبلي النعماني وتأسيس مؤسسته العظيمة دار المصنفين ، كانت الحاجة ماسة إلى الإشادة بهذه المؤسسة ، وبأعماله الجليلة التي قام بها إلى يوم وفاته، ويقام هذا المهرجان أداءً لهذا الواجب، فكانت فكرة العلامة شبلي النعماني لرفع مكانة الأمة الإسلامية واهتمامه بها في ناحية ، وفي ناحية أخرى تخطيط تأسيس دار المصنفين لابتكار أسلوب التأليف والتصنيف لبناء الفكر الإسلامي ، كانا دليلين على حاجة الوقت وفائدة هذين الجانبين .

ستقدم في هذا المهرجان خصائص هذين الجانبين من حياة العلامة شبلي النعماني في صورة مقالات ، ونحن إذ نعتبر هاتين الناحيتين للعلامة (النظام التعليمي الكامل ورفع مكانة التاريخ الإسلامي) نابعتين من منبع واحد ، ونحلّ ندوة العلماء و دار المصنفين محل أخوين شقيقين ، نبدي بهذه المناسبة إعجابنا وسرورنا ، ونرجو أن هذا المهرجان يعيد إلينا روحاً جديدة ويملؤنا نشاطاً وارتياحاً .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

العلامة شبلي النعماني: حياته وآثاره ومجمع دار المصنفين

بقلم: الأخ فضل الرحمن الإصلاحي القاسمي
الباحث في دار المصنفين، أعظم جراه (الهند)

أنجبت الهند رجالاً بارزين في مجال الثقافة العربية والإسلامية وترويج اللغة العربية وآدابها ، استطاعوا بفضل الله ثم بفضل جهودهم العلمية أن ينالوا شهرة واسعة . وبما أن أعمالهم الأدبية كانت تضاهي أعمال الأدباء العرب الكبار ، فأصبحوا من القلائل الذين يُعرف عنهم بكونهم رموز الأدب العربي ليس في الهند فحسب بل في العالم العربي أيضاً .

يعتبر العلامة شبلي النعماني الملقب بشمس العلماء ، من أبرز علماء التاريخ الإسلامي في الهند ومن أعلام النهضة الأدبية فيها . لعب دوراً بارزاً في نهوض المسلمين من المجتمع الهندي وإخراجهم من التخلف والاضمحلال ، وكان له فضل كبير في بث الروح الإسلامي والحمية الدينية في نفوس المسلمين . وكان من بين العلماء القلائل الذين اهتموا اهتماماً كبيراً بدراسة كتابات المستشرقين دراسة تحليلية نقدية في شبه القارة الهندية ، كما يرجع إليه الفضل في تعريف الشخصيات العربية والإسلامية عن طريق تقديم سيرتهم بأسلوب سلس جذاب .

ينتمي العلامة شبلي النعماني ، رحمه الله ، إلى سلالة "راجبوت"، وكان يتمتع بجميع ميزاتها ، ولد في التاسع من شوال سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف من الهجرة ، الموافق عام سبعة وخمسين وثمان مائة وألف ميلادية ، في قرية "بندول" بمديرية أعظم جراه .

تلقى الدروس الابتدائية في قريته فدرس القرآن الكريم واللغة الفارسية و رحل إلى مدينة أعظم جراه في طلب المزيد من العلم والعلوم، فالتحق بمدرسة عربية لاستكمال دراسته ، حيث تعمق في المنطق

والفلسفة وبرز في علم الكلام ، ودرس على العلامة علي عباس الجرياكوتي ، والشيخ هداية الله خان الرام فوري ، والشيخ المربي ، الأستاذ/ مولانا محمد فاروق الجرياكوتي ، وأخذ الفقه وأصوله عن العالم الفذ الفقيه الأصولي، إرشاد حسين المجددي ، وأخذ الأدب العربي عن الشيخ العلامة فيض الحسن السهارنفوري ، الأستاذ بكلية العلوم الشرقية في لاهور ، وأخذ الحديث النبوي الشريف عن الشيخ المحقق اللامع ، المحدث المتقن والفقيه الضليع أحمد علي السهارنفوري .

ومن تلاميذه المعروفين ، المعلم عبد الحميد الفراهي ، والعلامة السيد سليمان الندوي والشيخ عبد السلام الندوي وإقبال سهيل وغيرهم .

صنف العلامة شبلي النعماني عدداً من الكتب التي ذاع صيتها ونالت شهرة وطنية وعالمية على حد سواء ، ومن بينها سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، التي تعتبر مرجعاً للسيرة النبوية ومن المؤلفات التي تعطى لها أهمية كبيرة من شتى النواحي ، وهي من أهم السير للمؤرخين ، وقد استطاع العلامة شبلي من خلالها أن يرد على اتهامات المستشرقين وطعونهم ضد الإسلام ونبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان له تأثير كبير في الشباب المسلم المتعطش إلى معرفة سيرة نبيه الذي حاول المستشرقون تشويه صورته . وكشف العلامة شبلي عن الحقائق ، ووضحها بالأدلة الدامغة والمنطق الواضح ، وردّ عليهم بأفضل السبل ، كما ألف سيرة الفاروق ، وسيرة النعمان بن ثابت وكتاب الانتقاد على التمدن الإسلامي ، والغزالي والكلام وغيرها .

وبعد أن لبّى العلامة شبلي النعماني نداء ربه ، قام تلامذته وزملاؤه بتحقيق أمنيته وإنجاز مشروعه الذي خططه لتأسيس دار المصنفين ، ومن أبرزهم المعلم عبد الحميد الفراهي ، والعلامة السيد سليمان الندوي والشيخ مسعود علي الندوي والشيخ عبد السلام الندوي وغيرهم الذين لعبوا دوراً هاماً في تأسيس الأكاديمية ، حيث طفقوا يبذلون جهودهم في سبيل ما كان العلامة شبلي النعماني رحمه الله

بصدده ، أي تأليف الكتب باللغة الأردوية في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، والتاريخ والفلسفة الجديدة وعلم الكلام الجديد وغير ذلك مما يحتاج إليه المسلمون ، وذلك ليتسنى لهم الانخراط في سلك البحث والتحقيق على الخطوط الجديدة وهي كما يلي :

- قسم البحث والتأليف حول سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.
- قسم التحقيق والدراسات.

إن أكاديمية شبلي نجحت في تحقيق غايتها ، حيث بلغ عدد ما ألف في الأكاديمية أكثر من مائتي مؤلف واشتملت هذه الكتب على العلوم المتنوعة وخصوصاً في التاريخ وأحسن ما صنف في هذه الأكاديمية هو كتاب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وهو في سبعة أجزاء ، وقام بتأليفه العلامة شبلي النعماني ، وتلميذه النابغ العلامة الشيخ السيد سليمان الندوي.

ولا شك أن هذا الكتاب فريد من نوعه ، وقد اعتبره أهل الرأي والتحقيق من العلماء والنقاد مرجعاً تاريخياً هاماً ومصدراً جامعاً للسيرة النبوية ، وهذا الكتاب كتاب محقق وموسوعة في موضوع سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

إن هذه الأكاديمية تشتمل على أكثر من مائة ألف مؤلف ، ومن ضمنها النوادر والمخطوطات والمصادر والمراجع وهذا ما تمتاز به هذه الأكاديمية بين المجامع العلمية الأخرى .

وتم نقل كثير من مؤلفات دار المصنفين إلى لغات مختلفة ، منها الفاروق ، وسيرة النعمان وسفر نامه مصر وشام ، وسيرة النبي ، وسيرة عائشة (رضي الله عنها) وغيرها إلى اللغة العربية والإنجليزية والتركية وبعضها إلى لغات أخرى ، وهذا دليل واضح على أن الكتب المؤلفة قد ذاع صيتها في الآفاق فضلاً عن قبولها الواسع لدى الأوساط العلمية في الهند وخارجها . كما لم تقتصر سمعة هذه الأكاديمية على شبه القارة الهندية والبلدان العربية فحسب ، بل انتشرت سمعتها في كافة بقاع العالم .

زار دار المصنفين عدد من كبار العلماء والوزراء والزعماء ومنهم مولانا أبو الكلام آزاد ، أول وزير للتربية والتعليم ، في جمهورية الهند ، ومولانا شوكت علي ، ومولانا حسرت موهاني ، وزعيم الهند المعروف بمهاتما غاندي ، وأول رئيس لوزراء الهند ، جواهرلال نهرو ، وابنته إنديرا غاندي ، ووالده موتي لال نهرو ، والدكتور ذاكر حسين "رئيس الجمهورية الهندية سابقاً" وراهول غاندي ، نجل رئيسة حزب المؤتمر الهندي إلخ .

وتبرع أول رئيس للوزراء ، جواهرلال نهرو بألف روبية من صندوقه الخاص لهذه الأكاديمية . ومنحت حكومة ولاية أوترابراديش خمسمائة ألف روبية لتوسيع المطبعة قبل عدة أعوام . ولكن الحكومات المركزية فضلاً عن حكومات الولايات المتعاقبة لا تبدي الاهتمام المنشود بهذه الأكاديمية حالياً ، الأمر الذي يثير القلق لدى عشاق الأدب والعلوم الدينية والدنيوية ، لأن اهتمام الحكومات بمثل هذه الأكاديميات يشير إلى مدى اهتمام أبناء المنطقة والولاية بل الدولة بأكملها بالعلم والعلوم والشغف الكامل بها والسعي إلى تطوير مستواها لينتفع بها كل من له حب وولع بالعلم والعلوم والمعرفة .

من جهة أخرى ، قدّم المدير الحالي لهذه الأكاديمية ، الدكتور/ اشتياق أحمد الظلي ، الأستاذ المتقاعد من جامعة علي جراه الإسلامية ، ومساعده الخاص الحافظ الشيخ عمير الصديق الندوي والآخرون من أعضاء الأكاديمية إسهاماً كبيراً في تطوير هذه الأكاديمية ، وقام مؤخراً الدكتور/ إبراهيم البطشان ، الملحق الثقافي بسفارة المملكة العربية السعودية في نيو دلهي سابقاً بزيارة لهذه الأكاديمية ، في حين قام الدكتور/ كريم النجفي ، المستشار الثقافي لسفارة جمهورية إيران الإسلامية في نيو دلهي بزيارة الأكاديمية أيضاً . كما قام هيوادمل ، رئيس خاص لحكومة أفغانستان بزيارة الأكاديمية ، فضلاً عن قيام عدد من الباحثين والمحققين بزيارتها لأغراض علمية وبحثية من حين لآخر .

مجلة الأكاديمية : مجلة "معارف" تصدر شهرياً باللغة الأردوية ، وهي مجلة علمية محققة حظيت بقبول واسع لدى الجمهور وهي مجلة تعرف بتقديمها معلومات تخص العلوم الشرعية والثقافية والتاريخية والأدبية وتضم في صفحاتها مقالات علمية قيمة وبحوثاً أدبية نادرة ، علماً بأن هذه المجلة تصدر منذ عام ١٩١٦م بشكل متواصل واستمرارية نادرة .

وقد عبّر عنها بعض العلماء والباحثين بآراء قيمة ومن بعضها ما يأتي:

- مولانا أبو الكلام آزاد: "إن هذه المجلة مجلة منفردة وممتازة لدينا" .
- الشاعر الإسلامي العلامة محمد إقبال: "إن هذه المجلة تزيدنا إيماناً وحماسة" .
- العلامة المحقق الكبير الدكتور/ حميد الله "عندنا مجلة "معارف" من أجل المجلات العلمية في العالم" .

وتهدف هذه المجلة إلى تنشيط البحث العملي والإسهام في نشر الدراسات والبحوث العلمية والفكرية والعلوم الإسلامية وتدعو إلى التواصل العملي بين المتخصصين في تلك المجالات .

وخلاصة القول : إن بصيرة العلامة شبلي النعماني الفذة كانت قد أدركت أهمية هذه الأكاديمية فقررت أن مثل هذه الأكاديميات ستساهم في تثقيف الشارع الهندي وتعمل على إثراء المكاتب والمكتبات العلمية، فضلاً عن غرس المحبة والشغف في قلوب المثقفين لينهلوا من مناهلها العذبة، فتلعب بذلك هذه الأكاديمية دوراً كبيراً في إنشاء جيل جديد مفعم بالحيوية والنشاط وتنبئ بطلوع شمس جديدة تضيء لنا سبلنا وتحثنا على الانهماك في معرفة رموز وأسرار ما تحمله من الكتب الدينية والأدبية ، وبناء مستقبل زاهر لأبناء البلاد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

من تاريخ ندوة العلماء الأدبي

مساهمات شعراء ندوة العلماء في إثراء اللغة العربية

(الحلقة الأولى)

د . محمد شاهجهان الندوي

رئيس قسم الحديث و علومه وأستاذ الفقه و أصوله
الجامعة الإسلامية ، شانتابرم بتيكاد ، مالاقورم ، كيرالا

تأسست ندوة العلماء سنة ١٣١٠هـ الموافق ١٨٩٢م، على أيدي كبار علماء الهند ، وفي مقدمتهم الشيخ محمد علي المونجيري _ رحمه الله _ وأنشئت دار العلوم التابعة لها في لكناؤ عام ١٣١٦هـ الموافق ١٨٩٨م . و امتازت بالاعتناء بالعلوم الشرعية من التفسير و الحديث و الفقه ، و العلوم المساعدة من العلوم الآلية كالنحو و الصرف و اللغة و الأدب و التاريخ و ما إلى ذلك .

و من أهم ما امتازت فيما بين أخواتها ، أنها أحيت لغة الكتاب والسنة، و أنقذتها من زوايا الخمول إلى لغة الدين و الحياة و الاجتماع ، فقامت بتدريسها كلغة حية نامية، دافقة بالقوة و الحيوية ، فتسلح خريجوها بالملكة العربية ، و القدرة على الكتابة باللغة العربية في شتى المجالات ، من مجالات الدراسات الإسلامية و الأدبية و اللغوية و التاريخية ، و من هنا تنوعت خدماتها العملاقة ، فلم تقتصر على علوم التفسير و الحديث و الفقه ، بل تعدت إلى القيام بكل ما تحتاج إليه الأمة الإسلامية ، و بكل ما يهم المجتمع الإسلامي و الإنساني .

أما الدور العظيم الذي مثلته ندوة العلماء في صناعة تاريخ اللغة العربية في الهند ، فلا يجحده إلا جاحد أو متعصب أعمى .

و من الحقائق الناصعة أن ندوة العلماء خرجت رجالات و عباقرة ، قامت بأعمال جليلة و مآثر علمية عظيمة في كل ميدان من ميادين العلم و المعرفة ، من التفسير و الحديث و الفقه و الاقتصاد و السياسة

و الاجتماع و الأدب و اللغة و النحو والصرف وما إلى ذلك ، و ملأوا العالم الإنساني بكتبهم القيمة و مؤلفاتهم الثمينة ، و بحوثهم الغالية الرائدة التوجيهية ، و لم تقتصر جهود المتخرجين في هذه الدار على النشر باللغة العربية ، بل زينوا ناصية الشعر و جبين القريض كذلك.

و في طليعة من أثروا اللغة العربية بأشعارهم و أبياتهم و قصائدهم (١) العلامة السيد سليمان الندوي – رحمه الله تعالى – (م : ١٨٨٤ م ، ت : ١٩٥٣ م) ، الذي كان في وقت واحد عالماً جليلاً ، و محدثاً كبيراً ، و فقيهاً بارعاً ، و متكلماً ألمعياً ، و أديباً أريباً ، و مؤرخاً خبيراً ، و سياسياً جهبذاً ، و أستاذاً قديراً ، وماهراً في التعليم و التربية عظيماً ، و صحافياً ناقداً ، و كاتباً ذكياً ، و شاعراً فطناً ، و قاضياً حكيماً ، و مفكراً عبقرياً .

نبذة عن حياته :

و لد هذا الحبر الجليل في قرية تسمى " دسنا " في شمال شرقي " بهار شريف " في ولاية " بيهار " ، على بعد ثمانية كيلو مترات منها ، في ٢٢ / من نوفمبر سنة ١٨٨٤ م . و تلقى تعاليمه الابتدائية و الثانوية و العالية في مدارس ولايته المختلفة ، و التحق بدار العلوم التابعة لندوة العلماء عام ١٩٠١ م . و قرأ على أساتذتها البارعين ، و لازم العلامة شبلي النعماني – رحمه الله تعالى – و استفاد منه استفادة عظيمة ، و كان مذاق السيد للغة العربية و آدابها جيدا جدا من قبل ، فلما دخل في تربية العلامة شبلي – رحمه الله تعالى – صفا ذوقه و عذب منطقه .

و مما يدل على براعة السيد و كفاءته في اللغة العربية أن السيد حين كان في نهاية دراسته ، عقدت حفلة تعميم المتخرجين في دار العلوم لندوة العلماء في قاعة " رفاه عام " بلكناؤ ، و خطب فيها كثير من الطلاب و خطب السيد الندوي أيضا حول " العلوم الحديثة و القديمة " ، و بينما كان السيد يخطب إذ قام أحد من المستمعين ، و قال : إن هذا الطالب إذا خطب باللغة العربية مرتجلا ، فنحن نوقن ببراعة ندوة العلماء و تفوقها في التعليم و التدريس . و بعد ما سمع السيد قول هذا القائل بدأ يخطب باللغة العربية ، و أخذ سحاب الهدوء

و السكينة يغشى الحفل ، و بدأ السيد يأخذ بمجامع قلوب الناس ، و لما بلغ الخبر إلى العلامة شبلي – رحمه الله – قدم بسرعة ، و سأل السيد قائلا : " إن أعطيتك عنوانا في هذا الوقت ، فهل لك أن تخطب مرتجلا بدون تلعثم و توقف ؟ فأجاب السيد ، نعم : سأفعل ذلك – إن شاء الله تعالى – فقام العلامة شبلي على المنصة . و قال – وهو يخاطب المستمعين – : إن هذا الطالب الذي خطب أمامكم ، يمكن أن يظن أحد بشأن خطبته : لعل هذا الطالب كان قد أعد هذه الخطبة من قبل، فإن أراد أحد أن يزيل هذه الشبهة ، فعليه أن يعطيه عنوانا . فقام الخواجة غلام الثقلين ، و حدد له عنواناً ، و هو : " ما هو الطريق السديد لنشر الإسلام في الهند " ، و جعل السيد يلقي بآرائه و أفكاره حول هذا الموضوع ، و بدأت هتافات التحبيذ و التهنئة و الإشادة بخطبته ترتفع من كل جانب ، و لم يتمالك الأستاذ الموقر نفسه من شدة الفرح و السرور ، فخلع عمامته و عمم رأسه . (الدكتور محمد نعيم الندوي ، العلامة السيد سليمان الندوي ص ٧٥ – ٧٦) .

و لم يزل السيد يقوم بخدمات جبارة للإسلام و المسلمين و الإنسانية حتى لبى نداء ربه في ٢٢ / من نوفمبر عام ١٩٥٣ م .

و قد أشاد به و بمكانته العلمية ومنزلته الأدبية و خدماته ، كبار العلماء و الأدباء و المفكرين ، و في طليعتهم الشاعر و المفكر الإسلامي الدكتور محمد إقبال – رحمه الله تعالى – حيث يكتب مشيدا بمكانته العلمية : " من هو إمام العلوم الإسلامية و الفنون الدينية في الهند إلا السيد سليمان الندوي " . (مكاتيب إقبال ١ / ١٦٦) . و قال معترفا بخدماته العلمية الكبرى : " إن السيد سليمان الندوي يحتل اليوم المكانة العليا في حياتنا العلمية ، إنه ليس بعالم فحسب ، بل إنه أمير العلماء ، إنه ليس بمصنف فحسب ، بل إنه رئيس المصنفين ، إنه بحر العلوم و الفنون، تفجرت منه أنهار كثيرة ، و سقيت منها حقول يابسة عديدة " . (السيد سليمان الندوي ص ١٠ – ١١) .

شعره :

تمتع السيد بالملكة الشعرية و القدرة على قريض الشعر و نظمه في اللغات الثلاث العربية و الفارسية و الأردية ، وكان مجبولا

على حب الشعر فكان يحفظ ألوفا من الشعر ، و كان يساهم في المطارحات و المساجلات الشعرية بشوق و رغبة ، لكنه كان من الشعراء المقلين ، فلم يكن قرض الشعر مهنته ، فلا يقول الشعر إلا حين تهيج عواطفه و تثور أحاسيسه و مشاعره ، فيصوغها في قالب منظوم . و بالرغم من إقلاله من قرض الشعر ، فقد كان شاعرا قديرا ، يقول الشيخ معين الدين الندوي : " لقد كان السيد أديباً أريباً باللغة العربية و شاعراً قديراً بها " . (السيد محمد هاشم ، السيد سليمان الندوي ص ٣٧٠) . و يقول العلامة الشيخ محمد الرابع الندوي: " تتمتع شاعريته برقة الشعور و حسن التخيل ، فهي مزيجة من الرقة و التأثير و الروعة و الجمال و سهولة الألفاظ و رشاقتها " . (الخدمات باللغة العربية ، مجموعة مقالات الندوة حول الندوي ، بوفال ، ص ٣٨٢) . و يقول البروفيسور مسعود الرحمان خان الندوي : " لم يستطع السيد الاجتناب الكلي من التقليد ، رغم انتقاده على الشاعرية التقليدية ، لكنه استطاع أن يضم إلى شاعريته العنصر الإصلاحي و الخلقي و التربوي بنجاح " . (المرجع السابق ، الكتابات العربية الأولية، ص ٣٩٤) .

و لم يهتم السيد بنشر ديوانه ، و لذا ضاع معظم أشعاره ، و يقال : إن صديقه عمر بهاء الأميري ،السفير السوري بباكستان ،أخذ ديوانه لنشره من " سورية " ، و لكنه لم ينشر . و هكذا ضاع ديوانه . (هاشم، السيد سليمان الندوي ص ٣٧٠) .

و على كل حال ، فإن المنظومات الشعرية التي عثرنا عليها ،هي التي نشرت في مجلة " البيان " و " الضياء " بإصرار من أصدقائه و تلامذته . و هي : أنين الإسلام في الهند ، و تهنئة بصحة الأستاذ شبلي النعماني ، و يا مسلمي الهند ، و المسرة ما هي ؟ و الشمس في الشفق عند مغيبها ، و حب الوطن . و نشرت أشعاره في مجلة " الضياء " بعنوان : " الدرر الغر " و كانت تتعلق بمواضيع شتى .

مصدر شعره و خصائصه الشعرية :

منبع شعر العلامة و مصدره هو طبعه الفياض ، و إحساسه الصادق ، و ذوقه الجميل ، و تجاربه الذاتية ، و شعوره بقضايا المجتمع

السياسية و الاجتماعية و الوطنية . و من هنا يشعر القارئ في شعره بالقوة الدافقة للمعاني ، و روعة التركيب ، و البعد عن التصنع و الضعف و الحشو و الاضطراب و التعقيد .

و أسلوبه رشيق و خلاب ، و كلماته سهلة و مؤثرة ، و صياغته للأفكار و المشاعر و الآلام و الآمال أحسن صياغة .

أغراضه الشعرية :

قرض السيد الشعر حول الأغراض و المضامين المختلفة ، يقول الدكتورحامد علي خان : " رأيت ديوانه الشعري العربي المخطوط في الندوة ، فيه ما عدا الرباعيات نحو أربعمائة بيت ، و هو يحتوي على القصائد ، و المواعظ ، و العبر ، و الفخر ، و المدائح ، و الرثاء ، و الشكاوى ، و المعاذير ، و الحكم " . (د . حامد علي خان ، الشعر العربي في الهند ، ص ٣٠١ ، ٣٠٢) .

و فيما يلي عرض تحليلي لأشعاره و منظوماته الشهيرة :

(١) **حب الوطن** : هذه المنظومة تحتوي على ٢٠ بيتا ، وتفيض بوطنية صادقة ، و يرى فيها أن محبة الوطن فطرية ، فقد عبر فيها السيد عن حزنه العميق على فراق أهل الوطن ، فإنه يشعربالوحدة و الغربة في ديار الآخرين ، و لا يجد مؤنساً ، و لا من يشاركه في الهموم و يشاطره الغموم ، فلو كان له جناح لطار إليهم ، و لكن ماذا يفيد الرجوع إليهم بعد ذهاب الأحبة ، و هل الحدائق الغناء و الرياض الخضراء تغني عن الألاف و الأصدقاء ؟. يقول الشاعر :

كيف الوصول إلى أهلي و أوطاني ❖ بيني و بينهم جدران قيعان
هل من سبيل إليهم بعد ما قنطوا ❖ من عودتي و رجوعي بعد أزمان
كيف التلاقي و أرض الحب شاسعة ❖ يا ليتني كنت طيرا ، لي جناحان
كأن حبلا بقلبي ظل يجذبني ❖ إذا ذكرت ، إلى أهلي و أوطاني
إذا سكنت إلى نوم يؤرقني ❖ طيف يهيج شوقي نحو أخداني
يا شوق من عنده قلبي تخلصني ❖ فموثق في ديارالنأي جثماني
قفر يحل به صحبي و خلاني ❖ خير و ما هم معي من روض بستان
من لي بدار اغتراب لا أنيس بها ❖ يشد أزري، إذا استنجدت أعواني
و من يرق لمرء لا صديق له ❖ إذطوحته مصيبات ببلدان

و من يعـــود إذا ما مســـني سقم ❖ و من يخلصني من سجن أحزاني
و إن لقيت حماما جاء من عـــرض ❖ من يدرج الجسد البالي بأكفاني
و من يهيل علي التـــرب يلحدنـــي ❖ و من يشـــق عـــلي الجيب ينعاني
يا مزجيا بعـــجوب الرمل ناجـــية ❖ هل قاصـــد أنت حيا فيه جيراني
مظنتي " دسنه " من صبح خامسة ❖ إذا نجـوت إليـهـــا بعد " أستان"
اقرا عليهم سلاما من حـريق جوى ❖ ألقـى عصاه بصقـع ليس بالداني
متى به عهدكم إن قيـل أو سئلوا ❖ كيف التقيت فتانا البائس العاني
لم يترك الدهر من إلف و لا سكن ❖ تقر عيـني به في أرض هـــجران
تشدو الحمائم وهن الليل من طرب ❖ و لـي دمـوع بهـا تنـــهل أجفاني
هل عائد بعد عود لي إلى وطـــني ❖ ما كان لي فيه من روح و ريحان

(مجلة البيان ، رجب و شوال ١٣٢٧ هـ ، ص ٢٨)

و ما أجمل هذا الوصف لحب الوطن و ألم الفراق ، مع روعة التركيب و عذوبة الألفاظ .

(٣) **الشمس في الشفق عند مغيبها** : هذه المنظومة تحتوي على أحد عشر بيتا ، و هي من أجمل شعره في الوصف ، و خير ما وصف به الشفق ، و هي من أبيات رائعة ، جميلة الكلمات ، حسنة المعاني ، صور فيها مشاهد خلابة لغروب الشمس ، و شبه الحمرة الممتدة وقت الغروب في الجانب الغربي من السماء بالخمر العتيقة ، يتمتع بها في المساء كل من الإنسان و الحيوان ، و قد أكثر فيها من استخدام التشبيهات و الاستعارات ، و هذه الأبيات خير مثال للوصف الرائع ، والإبداع ، و روعة التشبيه ، و خاصة الأخيرة منها .

مطلعها :

كأنمـــا الشفـــق الممتـد في الأفـق ❖ خمـــر معتقـــة شجـت لمغتـــبق
خـــمـــر تعتقـــها أعلى همـــالية ❖ شـــجت بمـــاء غمام هامر غدق
كف الطبيعة تسقي الناس أكؤسها ❖ ويل لمـــن هذه الصهبـــاء لم يذق
تحســوا لقـــلوب حمياها إذا نظرت ❖ إلى السمـــــاء بأقداح من الحدق
و الطير تـــريها حميـــا تـــروح إلى ❖ أوكارها صافرات السجع في حلق
و الريـــح سائـــرة في روضـــة أنف ❖ تهدي الســـرور إلى حوبـــاء منتشق
دن من القهوة الصهبـــاء في الأفـــق ❖ والكأس تطفو به لا الشمس في الشفق

و الأبيات الأخيرة هي :

بل إنه برقع قان لـــه شية ❖ و الشمس وجه حبيب بالحجاب يقي
بل إنما الشمس للنظار بوتقة ❖ قد ذاب عسجدها و انثج في طرق
بل إنما الشمس من أعمارنا قتلت ❖ يوما فسال دم جار من العنق
فذلك الشفق المحمر من دمه ❖ و قبره ليله المستور بالغسق

(البيان ، ذو الحجة ١٣٢٦ هـ) .

(٣) · **يا مسلمي الهند** · هذه المنظومة أطول منظومة من منظومات السيد ، و تحتوي على ١٠١ بيت ، و حاكى فيه الشعراء الجاهليين المتقدمين ، فبدأ بالتشبيب ، ثم خاطب المسلمين و حثهم برفق على ترك حياة اللهو و اللعب و الترف ، و حضهم على الوفاء بما وعدوه الله تعالى ، و حرضهم على اكتساب العلم و الفضل و العلى ، و التحلي بتقى الله تعالى و العمل بالصالحات ، فهذه هي الأمور المنجية في الآخرة ، و أخيرا عبر عن حزنه و أسفه على تخلف المسلمين و بؤسهم وشقائهم ، و دعاهم إلى الصحو من غفلتهم و إهمالهم .

و هذه الأشعارأروع أشعار في الموعظة ، مع سهولة التراكيب وسلاستها ، و جزالة الألفاظ و رشاقتها و روعة الأسلوب و جماله ومطلعها :

ثواف و أطلال عواف بإثمد ❖ متى يجر وسمي عليها يجدد
عفتها رياح الحضرميات إذ جرت ❖ عواصف زعزاع كعقر مقرمد
و هطل الغوادي و السواري بقاعها ❖ كفيض شؤون الوامق المتفرد

و الأخيرة منها :

أفيقوا فطال ما انتشيتم و قد مضى ❖ زمان الصبا و اليتم و الراح و الدد
أما آن أن تخشى القلوب عواقبا ❖ فتسعى لما يأتي و تكسب للغد
دعوا المين و التبذير و العجب و الهوى ❖ فلا ينبغي هذا لأمة أحمد

(البيان ، جمادى الآخرة ١٣٢٦ هـ) .

(٤) · **أنين الإسلام في الهند** · : هذه المنظومة تحتوي على ٥٢ بيتا ، و عبر فيها السيد عن حزنه و أسفه على انحطاط المسلمين و ذلهم و هوانهم ، و ذكرهم بمآثر السلف الذين كانوا يحتلون المكانة العليا في العلم و الفضل ، و المنزلة الرفيعة في الزهد و التقى ، و الذين بلغوا أوج الثريا

في الشهرة و العظمة و الكرامة و البطولة و الشجاعة ، ولكن غفلة المسلمين و إهمالهم أوصلهم بالتدريج إلى ذل ، فيرضون بالباطل ، و لا يتجاسرون على الصدع بالحق ، و لا يؤدون واجب الدعوة الإلهية ، و لا يقومون بإرشاد الناس إلى الحق . و لا يخلصهم من هذا الذل ، إلا عدم الانخداع و الاغترار بمكائد الدنيا . و أخيرا دعا السيد شباب القوم إلى النهوض بكل عزيمة وهمة ، و بذل الجهود للتخلص من ورطة الهوان .

و الشعر رغم أنه شعر الموعظة ، لكنه لا يخلو من الجمال الشعري ، ففيه التنغم و الموسيقى ، و فيه روعة الأدب و رشاقة الألفاظ ، و دقة المعاني ، و رقة الخيال مع ما فيه من الالتزام بالقوافي .

الرباعيات :

استخدم السيد هذا الصنف لبيان الحكم و الأخلاق و العبر ، بينما كان الشعراء العرب يستخدمونها في اللهو و اللعب و وصف الخمور ، وقام بتوليد المعاني الجديدة . و على سبيل المثال يقول عن الكبرياء :

لا يفتخر بعضكم عزا على البعض ❖ من التراب خلقتم يا بني البغض
إن التراب و إن فوق السماء علا ❖ فإنه واقع يوما على الأرض

(مجلة الضياء ، لكناؤ ، جمادى الآخرة ١٣٥١ هـ ، ص ٢٦) .

و يقول عن " تعرف الدرجات بالمصيبات " :

لا يعرف الفضل بين الناس في الرتب ❖ و إن علا بعضهم بالمال و النسب
حتى الشدائد تبلوهم و تعجبهم ❖ فالنار تفرق بين العود و الخشب

(المصدر السابق ص ٢٦) .

و يقول عن حقيقة الوجود و العدم :

إن الأنام ينام ، عيشهم طيف ❖ و كل ما هم رأوا في عيشهم ، كيف
ليست حقيقة هذا الدهر إلا لا ❖ فلا ربيع و لا برد و لا صيف

(المرجع السابق ص ٢٠) .

فلا شك أن لمساهمات السيد في إثراء اللغة العربية ، عن طريق الشعر المؤثر قيمة غالية .

في رياض الأدب والأدباء

ليلى العثمان الكاتبة الكويتية

الباحث أسرارالحق الصديقي
جامعة جواهر لال نهرو دلهي الجديدة

تعتبر الكويت مركزاً ثقافياً لعبت فيه المرأة الكويتية دوراً حيوياً في شتى مجالات الفنون والآداب المختلفة ، كما لعبت دوراً بارزاً في التأثير الثقافي على المجتمع الكويتي ، وقد قامت المرأة الكويتية قديماً وحديثاً بدور ملحوظ في نهضة المجتمع الكويتي وتوعيته و تقدمه ثقافياً . ومن أديبات الكويت سواء أكانت من الجيل القديم أم الوسط أم الحديث من أسهمت في إثراء الواقع الثقافي والأدبي في الكويت ، منهن الشاعرة الشيخة سعاد الصباح ، ونجمة إدريس،وفي القصة ليلى محمد صالح ،وفجر السعيد ، وفاطمة يوسف العلي ، والكاتبة المبدعة ليلى العثمان ، وهي واحدة ممن حملن هموم الثقافة الكويتية إبداعاً ومشاركة و تأليفاً لمجموعة الكتب.، وهي الكاتبة العملاقة التي أثارت جدلا في الأوساط الأدبية والعلمية، وبرزت كأحد أعمدة الفكر والأدب وإنتاج المعرفة في منطقة الخليج والجزيرة العربية.

عالم ليلى العثمان هو عالم منسوج من أعصابها ومشاعرها ، عالم ممزوج بكل قطرة دم تجري في عروقها ، وهي ذات إنتاج غزير ومتنوع من مواليد الكويت عام ١٩٤٣م ، ووالدها الشاعر عبدالله العثمان ، ويتنوع نشاطها الثقافي والأدبي ما بين الرواية والقصة القصيرة والكتابة والسيرة والرحلات ، وهي من عائلة كويتية ، معروفة باهتماماتها الثقافية والعلمية والانتماء الوطني، وتولت مهمة أمانة سر رابطة الأدباء الكويتية، وهي عضو اتحاد الكتاب العرب ، وعضو جمعية الصحفيين الكويتية ، وعضو منظمة العفو الدولية وحقوق الإنسان ، وعضو الجمعية الثقافية النسائية الكويتية. جاوز صيتها حدود العالم العربي إلى أوروبا حيث ترجمت بعض مجموعاتها القصصية إلى عدد من اللغات الأوروبية مثل اللغة الإنجليزية ، والروسية، والألمانية ، والبولندية ، واليوغسلافية/ الألبانية ، والهولندية ، والجيورجية .

إن الكاتبة المبدعة الكويتية ليلى العثمان هي الكاتبة التي قفزت فوق سور الحريم ، وأحدثت كتاباتها هزة في المجتمع والصحافة

الكويتية ، ومشاركتها في المجال القصصي سجلت إبداعاتها المبكرة ، حتى لمع اسمها في كبد سماء الأدب العربي الكويتي الحديث كشمس مشرقة ، ومشاركتها العلمية والأدبية في الأدب العربي كانت مبشرة ودالة على دور المرأة الجديدة في الكويت. فمنذ انطلاقتها في ستينيات القرن العشرين وإلى اليوم تكاد تكون القلم الوحيد الناقد بجرأة ، والمتصدي لكل ما يشوب المجتمع العربي بعامة، والمجتمع الكويتي بخاصة لكل مظاهر التخلف الاجتماعي ، وهي تعبر في قصصها ورواياتها عن الكويت القديمة والحديثة، وتعتمد في رواياتها ثلاثية ، الحلم والواقع والتخييل، تقول بربارا ميخالاك في كتابها " التراث والمعاصرة في إبداع الكاتبة الكويتية ليلى العثمان " .

" كتابات ليلى العثمان تجمع تمامًا البرنامج الإنساني والاجتماعي في كل واحد لا يتجزأ ، فهي إذن إضافة قيمة ، ليس إلى الأدب العربي فحسب ، وإنما – إلى حد ما وفي حيّز ما – إلى الأدب العالمي أيضًا ، وتضيف : (إن ليلى العثمان في مجال لُغة الرمز الموظفة في كتاباتها القصصية والروائية تدلّ على أنها ماهر حقيقي في مجال نوعية الرمز وتوظيفه غالبًا ما يستخدم هذا الرمز بشكل طراز مبدئي، تخييلي ، توافقي، طبيعي أو مثير للانتباه ، اعتباطيًا كأصل وباعث دائم للحدث وفي كل الأنواع يعمل كأنه ناقل لوسائل تعبير فني وشكلي هامة " [1]

ومن إنتاجاتها الفنية العملاقة " المرأة والقطة "عام ١٩٨٥، و " سمية تخرج من البحر " عام ٢٠٠٠م ، "العصعص"عام ٢٠٠٢م و " المحاكمة "١٩٩٦م ، " إمرأة في إناء " عام ١٩٧٦م و"في الليل تأتي العيون "عام ١٩٨٠م و" الحب له صور " ١٩٨٢م و " فتحية تختار موتها " عام ١٩٨٧م و" الرحيل " عام ١٩٨٩م و "الحواجز السوداء " عام ١٩٩٤م و " يحدث كل ليلة " عام ١٩٩٨م " صمت الفراشات " عام ٢٠٠٧م [2]

وخدمت ليلى العثمان طاقاتها الأسلبية والمادية لتفعيل دور المرأة التاريخي في المؤسسات المدنية بعامة والمؤسسة الزوجية بخاصة ، وهي كتبت عن السلطة الشمولية الأبوية ، وهموم الوطن العربي وذكرت عن الخيانات وعن علاقة المرأة بالرجل بجرأة وحرية ، و تحدثت في كتبها العديدة ، عن الممارسات الجنسية غير المألوفة ، وعن زواج بعض كبار

[1] التراث والمعاصرة في إبداع الكاتبة الكويتية ليلى العثمان ، لبربارا ميخالاك ، دار المدني عام ١٩٩٧م

[2] ليلى محمد صالح : أدباء وأديبات الكويت/ ص ٢٦٩

السن من الرجال، بفتيات صغيرات السن ، يجبرهن أهلهن على الزواج ، طمعاً بالمادة والأموال ، وليس طمعاً في إنجاب العيال .

تقدم الباحثة هيفاء مجادلة للقاري في كتابها " هموم المرأة العربية في أدب ليلى العثمان " دراسة رائدة في مجال الأدب النسائي الحديث وفق روايتين حديثتين للكاتبة الكويتية المرموقة ليلى العثمان ، وهما رواية العصعص ٢٠٠٢م ، ورواية صمت الفراشات ٢٠٠٧م ، وتركز في دراستها على مسألة ، طالما لم تطرح في الدراسات الأدبية والاجتماعية والسيكولوجية، ألا وهي هموم المرأة العربية التي عانت من التمييز والكبت والقهر والاضطهاد عبر القرون .[٣]

اتجهت الأديبة إلى كتابة القصة القصيرة منذ عام ١٩٧٦م ، حيث نشرت أولى محاولاتها في جريدة " الوطن "ثم نشرت بعد ذلك في كثير من المجلات الأدبية العربية ، يقول الناقد إسماعيل فهد إسماعيل عن بدايات ليلى العثمان القصصية :

في البدء ما كانت كتاباتها لتثير اهتمام الدارس المتخصص ، بيد أنها في قصتيها الأخيرتين أظهرت براعة لغوية تلفت النظر، ومقدرة أسلوبية متطورة إلى جانب ميل واضح باتجاه الواقعية النقدية. ركزت في معظم معالجتها القصصية على اهتمامات المرأة و همومها العائلية والاجتماعية إلى جانب ما تعرضت له من علاقات مختلفة .[٤]

كتبت الكاتبة عن الحب الحقيقي والمشاعر الزائفة, كتبت عن الوطن وعن فلسطين ، كتبت عن الفقد والاستعادة, كتبت عن قهر المرأة وقهر الرجل, كتبت عن القسوة وانتهاك الجسد, كتبت عن الخوف الإنساني المشروع, كتبت عن الرغبة في التحرر من الذات ومن الآخر, كتبت عن كل ما يحاول المجتمع ، كتبت عن الكويت الظاهرة والكويت المختبئة في الأزقة والنفوس ، كما يقول عنها حنا مينه في مقدمته لمجموعة (في الليل تأتي العيون). " ليلى العثمان امرأة من الكويت تكتب لكل رجل وامرأة في العالم العربي " .

تناولت في قصصها التفاوتَ الطبقي في المجتمع الكويتي حيث يعاني المستضعفون الفقراء من الاستغلال وتطرح ظاهرة خطيرة في المجتمع

[٣] هموم المرأة العربية في أدب ليلى العثمان ص١٦١، هيفاء مجادلة ، مجمع اللغة العربية مطبعة الهدى عام ٢٠١١م

[٤] القصة الكويتية في الكويت قراءة نقدية ، اسماعيل فهد اسماعيل ص/ ١٥٢ دارالعودة بيروت لبنان عام ١٩٨٢م

الكويتي وهي استغلال الزوج لزوجته التي اكتشفَ عدمَ عُذريّتها ليدفعَها نحو الدّعارة ليكسبَ المالَ والثّروة والغِنى والمَركز. وكما يتّصفُ الرجلُ بكثير من السّلبيّات ، هكذا تتعرّضُ ليلى العثمان للمساوئ الكثيرة التي تتّصفُ بها الزوجة رغم كونها المقهورة والمظلومة. وقد لاقت ليلى العثمان امرأة من جمر ورماد ، الكثير من المشاكل والتهديدات بالقتل ، وأقيم ضدها الكثير من الدعاوي في المحاكم الكويتية ، لكنها ما زالت على جرأتها وانفتاحها في كتاباتها ، وتمسكها بمواقفها رغم التهديدات ورفع الدعاوي ضدها. وكما قدمت الكاتبة نفسها على صفحات مجلة (الآداب) اللبنانية في العام١٩٩٠ قائلة :

" أنا لست أديبة عظيمة ، لم أكتب لأنني تخرجت من معهد عال للفنون والآداب ودرست فيه من القصة .. ولا لأني تخرجت من جامعة وحصلت على شهادة الدكتوراة ، أنا لا أحمل إلا شهادة الصف الثاني الثانوي ، لقد كتبت لأني مشيت على الجمر وأنا طفلة ، فأردت لهذا اللهب أن يغادرني فخرج وسكن أصابعي التي تفجرت بالكتابة فكانت علاجاً لأمراض طفولتي واضطرابات حياتي ولم تكن الكتابة أبدا ترفاً أو مظهراً " . [٥]

وعالجت ليلى العثمان مختلف الأبعاد في إبداعها مثل البُعد السياسي والوطني القومي والبُعْد الحضاري والإبداعي ، والهمّ الفلسطيني ، وأبرزت إعجابَها بالمرأة الفلسطينية . كما وتناولت البُعدَ الذاتي مُعتمدة في الكثير على مراحل حياتها المختلفة وما واجهته من مشاكلَ وصعوبات . وتطرّقَت للمحاكمة التي واجَهَتْها وانتصارها على الخصوم. كما وتعرّضت للبُعد النفسي والتاريخي والديني ، حيثُ عالجت قضايا دينيّة مختلفة. ومن المعلوم أن القضايا الاجتماعية هي التي تطغى على إنتاج ليلى العثمان ، ولكنّ البارزَ أنّ الهمّ النسائي لا يُفارقُها منذ بداية مشوارها الأدبي إلى اليوم، ترصدُ فيه بالإضافة إلى مصادرة حريّة المرأة وحقوقها في المجتمع .

إنّ شخصيّةَ المرأة كما بَدَت في إبداع ليلى العثمان تتوزّعُ على ثلاث فئات هي : الأولى فئة البَطلات المسحوقات الخاضعات للأعراف والتقاليد وجميعهن سلبيات. وفئة البَطلات المتمرّدات اللائي يُحاولنَ الخروجَ من سَلبيتهن ، فيَتصارَعن مع المجتمع وتكونُ النُّصرة لهذا المجتمع بثقافته الذكوريّة التي تحكمُ عقل وجسَدَ المرأة . أمّا الفئةُ الثالثة فيُمثّله أشخاص مختَلفون تماما في أهوائهم ومُيولهم وغالبا ما يكونون من المثقفين والمستقلين ماديّا وذاتيّا يقول الدكتور محمد صفوري في كتابه "

[٥] مجلة (الآداب) اللبنانية عام ١٩٩٠م

إمرأة بلا قيود - دراسة في أدب ليلى العثمان " :

إنّ شخصيات ليلى العثمان تعكسُ مُعاناةَ المرأة في مختلف مراحل حياتها ابتداء من طفولتها حتى هرمها ، فجميعُها تعيش في أزمات حادّةٍ مُتَعَرّضة للقيود والاستغلال الدائم. ولا تختلف الشخصيات الثانوية كثيراً عن الشخصيات المركزية في سلبيتها وتَسلطها ، خاصة الشخصيات النسائية التي تتألفُ من الأمهات ، الجدّات ، النساء اليائسات وزوجات الأب والأخ والساديّات وجميعُها مُستَلّة من البيئة التي تعيشُها الشخصيةُ المركزيّة .[٦]

وقد قام الأديب الناقد سليمان الشطي بتحليل قصص ليلى العثمان وأبرز ثلاث خطوط أساسية ترتكز عليها قصص ليلى العثمان إذ هو يقول :

الأول : الماضي المستكين في أعماقها ، تعود إليه مستذكرة أو مستحضرة لتكشف به جذور الوعي الحاضر من خلال إنسان فرد أو شريحة ، أما الثاني : فتكون رؤيتها تبعا لمحيطها النفسي ويبقى المحور الثالث وهو البعد الاجتماعي المتسع وأسمية العالم المجاور .[٧]

ويمتاز أسلوب ليلى العثمان القصصي بصدق الإحساس والعاطفة وبالتطور من حيث فنية القصة واللغة والبناء الرمزي والنفسي ، فهي تستخدم الرمز لتطلق من خلاله الخيال المتسع، ولكن يبقى مرتبطا بالواقع والبيئة ، وقد تضيف لهذا الواقع أبعاداً حديثة في صورة القضايا الاجتماعية المحلية والعربية ، تنال المرأة مساحة واسعة في قصص ليلى العثمان حيث تبرز إحساسها بالظلم والقهر والشعور بالثورة والرفض للواقع ، فهي تبذل جهوداً مضنية لعرض الحياة ، ليس فقط كوصف مثير للانتباه ، وإنما هي تحاول الوصول إلى حقيقة الحياة ، تسعى للتوحّد بالحياة معبّرة عنها بالطريقة التي تجعل القارئ داخلها مباشرة كائناً حيويًا بفضل عصاراتها الخصبة ، إنها صوت ضمير أدبي حي يتماثل وجميع شهود عصرها من الكتاب والفنانين لأنها تعمل على إعادة خلق مصاير الأشخاص الصادمة المكبوتة والمقيّدة للحرية والحركة .

●●

[٦] محمد صفوري: إمرأة بلا قيود - دراسة في أدب ليلى العثمان.ص ٣٥٧- ٣٥٨ الحكيم للطباعة والنشر م.ض. الناصرة عام ٢٠٠٦م.

[٧] مدخل القصة القصيرة في الكويت لسليمان الشطي ص/ ٩٩

الإلمام باللغة وتبعاته الاجتماعية والحضارية

بقلم : الأخ محمد أمين هداية الله
(تشماد ، كيرلا ، الهند)

إن الكتلة البشرية قد أكرمها الله بنعم جسيمة وآلاء عظيمة، ومن أبرزها اللغة التي يعبر بها الإنسان عما في الجنان على طريق اللسان ، فاللغة هي التي مكنت الإنسان للتخاطب والتعامل وسهل له الطريق إلى التعاشر والتبادل ، وهي الشاشة التي تظهر فيها الأفكار والآراء والمشاعر والعواطف متقمصة لبس الأحرف والكلمات.

وحري بالتسجيل هنا أن اللغة ليست هي أداة تعبير فقط او مجرد المخارج والأصوات المحددة والكلمات والعبارات المحددة والمعاني والدلالات المحددة ، بل هي مرآة تنعكس فيها الحضارات والثقافات والقيم الدينية والأوضاع الاجتماعية ، فاللغة لها علاقة وطيدة وشيجة بالفكر والحضارة ، ولها آثار حاسمة في أخلاق الناس وعوائدهم وميولهم إلا أن بعض الدراسات الحديثة تنكر هذه الحقيقة بحجة أن اللغة - مهما كانت - نظام صوتي لا علاقة لها بتحديد الفكر، ولكن يخالف هذا الرأي ما أكده بنيامين لي وورف - عالم اللغويات الأمريكي - بأن الناس لا يعيشون فقط في عالم الأشياء الذي يحيط بهم وفي نطاق عالم الحياة الاجتماعية بل يعيشون في نطاق عالم لغة الأم لأنهم يبنون العالم الذي يحيط بهم وفق عالم اللغة وكل لغة على حد تعبيره تتضمن بالإضافة إلى مفرداتها وجهات نظر وأحكاماً ضد وجهات نظر أخرى .

اللغة و وظائفها :

ومن الحقائق المقررة أن الإنسان هو حيوان ناطق، من خاصيته النطق ، فبه يمتاز عن غيره من الحيوانات ، واللغة هي التي تساعد الإنسان لاستقرار ميزته هذه ، فهي وسيلة للاتصال والتفكير

والتواصل والتعبير ، تلك هي وظيفتها الأساسية فقد عرّفها ابن جني أنها أصوات يعبر بها قوم عن أغراضهم فهي نظام رمزي صوتي ذو مضامين محددة تتفق عليه جماعة معينة ويستخدمه أفرادها في التفكير والتعبير والاتصال فيما بينهم ، ولكن مع هذه الوظيفة المهمة تؤدي اللغات وظائف ثانوية غير هذا من الوظائف الاجتماعية والنفسية والفكرية والتربوية والثقافية .

فاللغات مهما كانت ، تؤدي نوعين مهمين من الوظائف : الموضوعية والاجتماعية فاللغات حينما تقوم بهذه الوظائف البارزة لاشك ستورد في الناس تأثيرات عظيمة ثورية في ثقافاتهم وحضاراتهم وسلوكياتهم وأخلاقياتهم .

تعلم اللغة : فوائدها وآثارها :

ومما قد تواطأ عليه الناس مهما اختلفت أديانهم وتنوعت مللهم وعقائدهم أن العلم هو أشرف الأشياء في العالم بل أولى ما أنفقت فيه نفائس الأوقات ، والعلم في حقيقته يشمل كل نوع من أنواع المعارف فهو مجموع مسائل وأصول تدور حول موضوع أو ظاهرة محددة وتتبع منهجاً معيناً وينتهي الى نظريات وقوانين ، فهناك عديد من العلوم ، من العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية وما إليها ، فالإنسان تعلم عن كل شيء وجده فانتبه البعض الى تعلم اللغات الأجنبية لما رأوا لها من فوائد غفيرة وفوائد جمة إلا أن منهم من اكتفى بتعلم محض التهجي أو الكتابة في تلك اللغة ومنهم من استغرق بنية اللغة من جوانب علم الأصوات النطقي (Phonetics) وعلم الصوتيات (Phonology) وعلم بناءالكلمات (Morphology) وعلم بناء الجملة (syntax) وعلم التجذير (Etymology) وعلم المعاجم (Lexicology) وعلم الدلالة (Semantics) وما إليها .

فتعلم اللغات مهما اختلفت جوانبها لها فوائد عديدة وتأثيرات عميقة جمة في مختلف نواحي الحياة الإنسانية خصوصا في مداخلاته الاجتماعية وأوضاعه الحضارية ، هذا رغم ما يحصل له من الذكاء الفائق والعقل الحاد وقد تم اكتشاف ذلك من خلال دراسات واختبارات أجريت على مجموعة من الأطفال وذلك أن من يتعلم لغة

إضافية يعمل عقله باستمرار في ترجمة وتحليل المواقف المختلفة داخل رأسه لاستخدام اللغة المناسبة في المكان والزمان المناسبين، وأيضا قد اكتشف أن استخدام أكثر من لغة يحمي خلايا المخ من الضعف ويكون له وقاية من الإصابة بمرض الزهايمر ، فاللغات ليست هي وسائل التعبير والتمنطق فحسب بل هي وسائل لتبادل الأفكار والإطلاع على ثقافات مختلفة وحضارات متنوعة .

الآثار الاجتماعية :

وقد مر بنا الكلام بأن من أبرز وظائف اللغة وظائفها الاجتماعية فإنها وسيلة للترابط الاجتماعي ، فكثيرا ما يقصد بها الحصول على العون والمساعدة وإقامة الود والألفة بين الموظفين ، ومما لا تشوبه شائبة من الشك أن تعلم اللغة يمكن الإنسان أن يرتبط بالآخرين مهما كثرت بينهم الأبعاد والمسافات ، فلا شك أن اللغة هي وسيلة للترابط الدولي والقومي خصوصاً في عصر التقنية والإنترنت الذي نحن فيه حيث كثرت إمكانية اللغة بشكل كبير عبر المحاورات والدردشات مع الآخرين .

فوظائف اللغة الاجتماعية تتضمن الوظيفة النفعية وهي الوظيفة التي تطلق عليها وظيفة 'أنا أريد' فاللغة من حيث إنها لغة التخاطب والتفاهم تسمح لمستخدميها منذ طفولتهم المبكرة أن يعبروا عن حاجاتهم ورغباتهم وأيضاً الوظيفة التنظيمية وهي التي تطلق عليها وظيفة 'افعل كذا ولا تفعل كذا' فاللغة تمكن الإنسان من تنفيذ المطالب والنواهي للآخرين وأيضاً الوظيفة التفاعلية وهي التي تطلق عليها وظيفة 'أنا وأنت' فاللغة تستخدم للتفاعل والتخاطب مع الآخرين حيث إن الإنسان حيوان اجتماعي ليس من خياله الوجود بلا مجتمع أو بعيداً عن المجتمع .

فالفرد إذا كان عالماً بلغة جديدة لا شك هو يتمكن على استخدام اللغة لمثل هذه الوظائف السابقة ويقدر على نيل حاجاته ومقتضياته ممن يعلم تلك اللغة ، فلا شك أن تعلم اللغة له آثار بليغة عظيمة في مداخلات الإنسان الإجتماعية .

الآثار الثقافية :

ومن المقرر أن هناك علاقة وشيجة بين اللغة والحضارة ، وذلك

أن الثقافة هي مجموع التقاليد والقيم والعقائد لأي أمة من الأمم ، واللغة هي وعاء لهذه القيم فتجريد اللغة من هذه القيم يعني قيام اللغة رموزاً بلا معاني ، وقد رأى العالم اللغوي رولند بارت (Roland part) بأن اللغة - مع ما لها من الوظائف - تقوم بوظيفة سلطوية ، وسلطتها إما على مستوى الشكل أو على مستوى المضمون ، فسلطتها على مستوى الشكل يراد بها أن الفرد لا يمكن أن يمارس اللغة دون أن يخضع لضوابطها وقواعدها النحوية والتركيبية ، وأما سلطتها على مستوى المضمون تعني أن الفرد حينما يتعلم اللغة يستبطن معه مختلف القيم والمضامين الفكرية التي تختزنها اللغة بحيث تصبح جزءاً من شخصية الفرد وتمارس عليه سلطة سواء ، على مستوى القول او الفعل .

ومن اللافت للانتباه أن جمعاً عظيماً من المفكرين قد سجلوا أنه لا يستطيع أحد الزعم بأن من الممكن تدريس اللغة الأجنبية دون أن يصاحب ذلك شيئ من ثقافة متحدثيها الأصليين وما ذلك إلا لأجل الارتباط الوثيق بين اللغة والثقافة وقد كتب تاناسولاس (Thanasoulas) انه لا يمكن فصل الثقافة عن التواصل لأنها هي التي تحدد من يتحدث الى من وعن ما ذا يتحدثون وكيف يستمر التواصل وكيفية تكوين الرسالة وما تحمله من معان والحالات والظروف التي يمكن إرسالها من عدمه .

وقمين بالتسجيل بهذا الصدد أنه من تعلم لغة أجنبية لا شك تؤثر ثقافة تلك اللغة في سلوكياته وأخلاقياته ، وذلك أنه لا يمكن تعلم اللغة الأجنبية ولا تعليمها بمجرد التلقين والحفظ لأن هذا مناف لطبيعة اللغة ووظيفتها كوسيلة للتواصل وإنما باستخدامها كوسيط لتبادل المعلومات والمعارف والتواصل مع الآخرين ، ومن أجل هذا يخاف بعض من الناس في البلدان الإسلامية تعلم اللغة الإنجليزية حيث إنه يسبب التثقف بالثقافة الغربية .

العربية والحضارة الإسلامية :

وفي الفقرات الماضية قد سبق بنا أن تعلم اللغة له تأثيرات عديدة في الاجتماع والثقافة ، فكل لغة لها مثل هذه التأثيرات فحينما نتكلم عن اللغة العربية فهي مرآة الحضارة الإسلامية ، فمن تعلمها لا شك

يكون متأثراً بالحضارة الإسلامية ومجتمعها . وذلك أن اللغة العربية تمثل الحضارة الإسلامية ، والعلاقة بينهما علاقة روح بجسد فهي أول كل شيئ لسان القرن وصوت الإسلام ورمز الوحدة والتواصل ، وهذا الثعالبي يقول : "من أحب العربية عني بها وثابر عليها وصرف همته إليها ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وآتاه سريرة فيه اعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم خير الرسل ، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم ، والعربية خير اللغات والألسنة ، والإقبال على تفهمها من الديانة ، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب المعاش والمعاد" .

فالعربية لها أبعاد دينية وملامح حضارية ومزايا اجتماعية تجعلها محل تقديس عند أبنائها ، فهي لغة تمثل الوحدة والتكاتف والتجانس بين أبناء هذه الملة الحنيفية ، فالعربية التي نزل بها القرآن ليست وسيلة التعبير عن الحقائق الدينية فحسب ولكنها وسيلة تجمع الأمة بأسرها في منظومة حضارية قيمة كما وصفها المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون بأنها لغة الرسالة الشاملة وأداة الإسلام لينشر السلام بين جميع الأمم والشعوب، فمن عرف اللغة العربية حق المعرفة لا شك يعترف أنها لغة السلامة والإسلام .

ومن الحقائق المقررة المعترف بها أن اللغة هي وسيلة لتبادل التراث من جيل إلى آخر بل هي التي تمثل أية ثقافة أو حضارة في العالم، ومن الواضح أن الإسلام مهما يتملك حضارة رائقة رائعة قد رآها بعض الناس زائفة شوهاء ، وإنما رأوا مثل هذا الرأي لعدم اطلاعهم على الكتب المصنفة في الإسلام خصوصاً القرآن الكريم الذي هو دستور الإنسان ومنهج حياة المسلمين ، وذلك لحيلولة اللغة بينهم وبينها ، فلا شك أنهم إن كانوا واقفين باللغة العربية ، محسنين القراءة للكتب التراثية فيها لا شك زالت عنهم جميع الشكوك واعترفوا بعظمة الحضارة الإسلامية وفخامتها وأن الإسلام هو دين الأمن والأمان والسلم والسلام .

عليك مني الصلاة و السلام معا

بقلم : الأخ محي الدين كلفام الندوي[1]

(هذه القصيدة المدحية باكورة عمل للشاعر الشاب الذي أبدى فيها انطباعاته في المديح ، وهي تبشر بخير مستقبل بمشيئة الله تعالى . التحرير)

لا الهم همي و لا الإمتاع إمتاعي ... لوما شُفيت بجرح بين أضلاعي
رثى لحالي رفاقي و العدى شمتوا ... و كلهم قصّروا عن درك أوجاعي
هُم لا يطيعونني إذا أقول لهم ... إن معالجتي في الرمل والقاع
هُم حيارى بما فهتُ به وهُم ... كمن أريبوا بأمخاخ وأسماع
هو النبي الذي مأواه ملحده ... و ليس منصرفا عن صنع أتباع
يا ليتني كنت في ميمونِ ساعته ... عن كل شر لفي بعد وإقلاع
صراطنا صائب فأصوبُ السبل ... هدى إليه إلهنا بذا الداعي
فيه لنا أسوة وإنه لعلى ... عظيم أخلاقه من بين أجماع
درسته فجفوني دمعت فجرت ... فلم أكن ماسحا ولا بمناع
محمد أرفع الأكوان مرتبة ... والتابعون له من خير أتباع
الحرب عند الرسول خدعة خدعت ... يا لرسول الهدى من خير خداع
نبت مضاجعه عن استراحته ... قضى الحياة كمبتلى بأوجاع
به تنورت الأكوان سائرها ... و في صباه رعى الشياه كالراعي
لم يزل المعتدون في اعتدائهم ... وازداد ظلمهم أضعاف أرباع
ولكن الحق لم يبرح فزاد به ... يوما فيوما على رغم هوى الناعي
بلغت أوج العلا ثم انحدرت إلى الـ ... ـأرض فذاك بإعجال وإسراع
ضل الورى اليوم عن قويم مسلكه ... والمنكرات أحاطته بأنواع
أحرجنا دهرنا فنحن في ظمأ ... إلى قيادتكم في شر أوضاع
كوارث حدثت في كل ساعتنا ... و هؤلاء أعادينا كأسباع
لا لكوارثنا حل ولا وَزَر ... فادع لنا كدعاء قلبٍ خشاع
أنت الوحيد الذي به نكون كما ... في بدء دينك كنا أيها الواعي
مهلا هُديتَ، فشكوى اشتكيت بها ... عفوا، فليس إليها ههنا ساعي
فاق الشرائع شِرعة أتيتَ بها ... إنك أنت لخير بين شرّاع

[1] الباحث بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علي كره الإسلامية، علي كره.

صور وأوضاع:

بين الشعوبية القديمة والشعوبية الجديدة

الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي

كانت العناصر الأجنبية قبل قيام الدولة العباسية مبعدة عن الحكم، والحياة العامة، فلما قامت الدولة العباسية بتعاون الفرس، عمّ سيل الأجانب، ووصل عدد كبير منهم إلى مناصب عليا، وشغل معظمهم أنفسهم بالبحث والتحقيق والتصنيف والتأليف، واجتهدوا في الحياة، فكسبوا ثروات طائلة، وسيطروا على الحياة العامة، وتدفقت التعبيرات والآداب والقيم الأجنبية، إلى المجتمع العربي، وشاعت الفلسفات الأجنبية في الفكر العربي، وتعدى نفوذهم إلى بلاط الخلفاء، فكان منهم وزراء وكتاب وأطباء، وقادة الجيش، ومن بين هذه الكثرة الكاثرة كانت طبقة تتعصب لحضارتها الأصيلة، وتنظر إلى العرب بعين الازدراء، كردّ فعل للسلوك معهم في السابق، وألف بعض هؤلاء العلماء كتباً في مثالب العرب، وطعنوا في أنسابهم وأيامهم، وقلبوا مفاخرهم ومحاسنهم مساوئ، ونشأ جيل من الكتاب يمجّد الثقافة الفارسية واليونانية، ويرجع كل ما كان من فضل في الحياة العربية إلى إحدى هاتين الثقافتين.

ولما تفاقم هذا الاتجاه وشاع، وساد تأثيره على النفوس لغلبة بعض العناصر الأجنبية التي كان لها نفوذ قوي في الحكم، تصدى كبار الكتاب العرب، وغير العرب له، وألفوا الكتب في الردّ على هؤلاء الأدباء والعلماء، وأكدوا فضل العرب، ونوّهوا بسبقهم إلى الإسلام، وإسهامهم إسهاماً رائداً في الدعوة الإسلامية.

وبعد انقضاء مدة ضعفت هذه الحركة المناوئة للعرب بانتشار الأعاجم، واشتراكهم في الحكم، وغلبت عليهم العاطفة الإسلامية، وساورهم شعور بالتخلف عن العرب في الدفاع عن الإسلام والدعوة الإسلامية، فسابقوهم في الدفاع عن حصن الإسلام، وأعادت الحمية الإسلامية والدينية إلى نفوسهم حب العرب، رغم انتمائهم إلى عنصر غير عربي، ويشهد التاريخ على ما سجلت هذه العناصر من أصل غير

عربي، من صفحات رائعة في حماية الوطن العربي، ووقاية العرب من حملات الصليبيين القادمين من أوربا، وازداد هذا الحب للعرب وإكرامهم بمرِّ الأيام حتى أصبح العربي في عيون الأعاجم موضع احترام أكبر، لأن الإسلام عربي، ورسوله عربي، والصحابة وقادة الفتح الإسلامي عرب، ودخل هذا التعظيم للعرب في آداب المسلمين من غير العرب، وبلغ تعظيمهم للرسول صلى الله عليه وسلم في الآداب الإسلامية إلى أن الكتاب والخطباء وعامة الناس لا يذكرون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاسم، وإنما يكتفون بتعبير فيه إيماء إليه كزينة الكون، ورحمة العالم، وحضرة الكريم، وحبيب الله، والرسول المقبول، والرسول الحبيب، والذات العالي، وحبيب رب العالمين، وعن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، كالأصحاب البررة، والنفوس الزكية، والنجوم الساطعة لسماء النبوة، وكان يحرص كل مسلم على أن تتاح له فرصة فيسعد ببذل أغلى ما لديه من التضحية للدفاع عن الإسلام، فتثور حفيظته على أدنى إساءة إلى أحد من هذه الشخصيات الجليلة، ولا تهدأ ثائرته إلا ببذل ما في وسعه من جهد لتلافيه، ويتمتع كل عربي بهذه النسبة العالية بقدر من هذا التعظيم.

طغى الأوربيون على بلاد العرب والإسلام، واستولوا عليها واستعمروها، ولم يقف استعماره على استعمار الأراضي عسكرياً، وإنما استعمروا العقول والنفوس، وغرسوا حبهم وهيبتهم في القلوب، بتمجيد حضارتهم، وتحقير حضارة الدول التي استعمروها، فظهرت طبيعة تفضيل الغرب على العرب، وهي أخطر من الشعوبية العباسية؛ فإنها كانت محدودة وزمنية، فقد كان حملة العلم والثقافة من العنصر الفارسي، أو الرومي، في العصر العباسي، مغمورين بحبِّ الإسلام، وكانوا متحمسين فيه، وساقهم هذا الحب في النهاية إلى خدمة اللغة العربية، والعلوم العربية، وكانت فيهم غيرة إسلامية، فكانوا ينضمون إلى العرب في أوقات المحنة والبلاء، يضحون في سبيلهم بكل غال ونفيس، ويجدون فيه شرفاً وكرامة لهم، فكان أبو عبيدة، وسهل بن هارون، وأمثالهما من الشعوبيين، لكنهم يعتبرون أساطين اللغة والأدب، ويرجع إليهما وأمثالهما في مجال اللغة والأدب، والبيان، والنحو، وكذلك كان منهم كبار الفقهاء والمفسرين، و المؤرخين الذين كانوا مغمورين بحب آل البيت، والعرب جميعاً، وكان انتماؤهم إلى أصلهم

وعصبيتهم له أمراً داخلياً، لكن بعض الكتاب المعاصرين من العرب فتنوا بالاستعمار الغربي وهم ينتمون إلى العرب؛ لأنهم ولدوا في بيئة عربية إسلامية، وقضوا طفولتهم فيها، لكنهم تعلموا في البيئة الأوربية، فتأثروا بها، وانقلبوا على لغتهم العربية وثقافتهم العربية، وتاريخهم العربي، وعقيدتهم الإسلامية، وآمنوا بالغرب، وتفننوا بمجده وعظمته، ودعوا أمتهم العربية إلى الاقتباس منه؛ ليس في العلوم والفنون والصناعة فحسب، بل في الأكل والشرب واللباس، والكلام والأخلاق والسلوك والعقيدة، ودعوا إلى الانسلاخ من كل ما هو عربي، وهاجموا أمجادهم، وسخروا من العربية والعرب.

ولم يكتف هؤلاء الكتاب العرب بالدعوة إلى اتخاذ المثل الغربية، بل وجهوا الدعوة إلى رفض كل فضل للعرب، وإنكار تاريخهم المجيد، والطعن في ثقافتهم القديمة التي نقلتهم من الجزيرة العربية إلى سيادة العالم كله، والتوغل إلى أعماق أوربا، ومن التناحر فيما بينهم إلى تأليف أكبر كتلة عائلية، انضم إليها الفرس، والترك، والروم، والهنود، فكانت أكبر مجموعة إنسانية عالمية.

إنها لشعوبية عربية يواجهها العالم العربي في هذا العصر، ولا يزال يواجهها رغم انحسار ظل الاستعمار، ورغم إخفاق هؤلاء المؤمنين بالغرب في إسعاد شعوبهم وتحقيق مآربهم، وسقوط النظم البديلة التي سعوا إلى إحلالها في بلادهم باسم القومية العربية المجردة عن الإسلام، والحمية العربية الحقيقية.

لقد طعن هؤلاء الشعوبيون الجدد وإن كانوا يدعون بالعروبة، ومنهم كبار الكتاب، وعمداء الأدب العربي الذين يأكلون باسم اللغة والأدب العربي، طعنوا في اللغة العربية والأدب العربي، والثقافة العربية طعناً سافراً، واتهموها بالعجز والعقم، واتهموا التاريخ العربي بالتخلف، والجمود، والوحشية، والدين بالتشنج والرجعية، ووجهوا الدعوة إلى مسايرة الغرب، وتقليد ثقافتهم، حتى في المساوي والأقذار في حياتهم كانت موضع إعجابهم، واستحسانهم، ووجه بعضهم النداء للانضمام إلى القومية الأوربية، فأنزلوا العرب من المستوى الرفيع إلى مستوى أتباع الغرب، وسلبوا مجتمعهم قيمه ومثله التي كان يعتز بها.

أصبح الهجوم على الحكام السابقين في التاريخ من غير العرب، كالعثمانيين والمماليك، الموضوع المحبب لدى الكتاب القوميين

حديثا، ولا يخجل بعض الحكام العرب المعاصرين من وصف حكم غير العرب بعهد الاستعمار، والقمع والاضطهاد، ويعتبرون عهدهم عهد الحرية، والاستقلال، والوحدة والاشتراكية، ويصفون ذلك العهد القديم بعهد الاضطهاد، والواقع أن الحكام السابقين لم يقصروا في الدفاع عن الوطن الإسلامي العظيم الذي كان يشكل أكبر ديمقراطية عالمية، وكانت أوربا كلها تشعر بتهديد منها، إلى أواخر القرن التاسع عشر، أما القمع والاضطهاد فإن حوادثهما تصفر وتضمحل أمام ما يحدث في عهد الحكام الثوريين المعاصرين، وما مر به العالم الإسلامي في الفترة الأخيرة من تكميم الأفواه، وسلب الحريات وتشويه الحقائق، واغتيال العلماء والمفكرين، وتشريد المواطنين، ولم تعلق المشانق، ولم تعمر الزنزانات في عهد سابق مثلما حدث في كثير من بلدان الثورات في العصر الحديث، وإن الحروب الداخلية التي تجري اليوم في العالم العربي تجدد ذكريات الحروب الداخلية في الدول الأوربية قبل النهضة، وما وقع في الحربين العالميتين.

لقد شاهد العالم العربي في عهد الثورات من القمع والكبت، وإذلال العقول، والعلماء، ورجال الدين، ما لم يشاهد في عهد الحكام السابقين من غير العرب، ولا في عهد الاستعمار، وفوق ذلك شاهد العالم العربي هزائم وانتكاسات في الميدان العسكري، والدفاع عن الوطن، ما لم يشاهد في القرون الماضية، وقد خسرت الدول العربية في عصر القومية العربية، كل ما كانت تملكه من سمات آثار الأصالة والاعتماد على النفس، وأصبحت سياستها تابعة لمصالح الدول الأوربية حتى تعيين الوزراء، وخبراء الإعلام والصحفيين لا يتم إلا بموافقة الدول الأجنبية، وهو وضع لا يوجد له نظير في التاريخ الماضي.

لقد أصبح أكثر أجزاء العالم الإسلامي، ومنها الدول العربية التي قامت فيها الثورات، مسرحاً لقتال، وسفك دماء، وقمع حريات، فأصبحت فريسة لدول أوربية تملك وسائل النفوذ والتأثير، ولقمة سائغة لها، وإذ استمرت هذه الصورة فإنها تمهّد السبيل للصراع العالمي، وتدخُّل القوتين العالميتين.

من كنوز القرآن الكريم

تفسير القرآن الكريم

للعلامة السيد سليمان الندوي

(القصص ، العنكبوت ، الروم ، لقمان)

جمع وترتيب : محمد فرمان الندوي

سورة القصص

نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون : فقصة موسى تنفع المؤمنين .

يستضعف طائفة منهم : المستضعفون من المسلمين .

إنه كان من المفسدين : أي فرعون ..

وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر :

قال الله تعالى: ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (آل عمران : ٤٤)

وما كنت بجانب الطور إذ ناديا ، ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما :

قال الله تعالى: لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (يس : ٦)

ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم :

قال الله تعالى : هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (الأنعام : ١٥٨)

قال الله تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضاً إِلاَّ غُرُوراً (فاطر : ٤٠)

الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون :

قال الله تعالى: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (البقرة : ١٢١)

وإذ يتلى عليهم قالوا آمنا به ، إنه الحق :

قال الله تعالى: لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَآءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ . يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (آل عمران : ١١٣ – ١١٤)

أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا :

قال الله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَآمِنُواْ بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (الحديد : ٢٨)

وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليكم :

ذكر الله تعالى في سورة الكافرون مثل هذا المعنى .

أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيئ ، رزقاً من لدنا :

قال الله تعالى : وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (البقرة : ١٢٦)

ونزعنا من كل أمة شهيداً :

قال الله تعالى : وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَـؤُلاَءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (النحل : ٨٩)

قال الله تعالى : فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاءِ شَهِيداً (النساء : ٤١)

العصبة أولي القوة : أولو النعمة منا قريش .

كل شيئ هالك إلا وجهه :

قال الله تعالى : كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ (الرحمن : ٢٦ – ٢٧)

سورة العنكبوت

عمود السورة : دعوة المسلمين إلى الصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، وأن لا يخافوا من سيطرة قريش ، فالعاقبة لهم .

ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ، إن الله لغني عن العالمين :

قال الله تعالى : وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (لقمان : ١٢)

ووصينا الإنسان بوالديه حسناً :

قال الله تعالى : وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (لقمان : ١٥)

وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم :

قال الله تعالى : لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ (النحل : ٢٥)

أولئك يئسوا من رحمتي : لم تصب الناس .

أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر :

قال الله تعالى : وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ . إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (الأعراف : ٨٠ - ٨١)

ولما جاء رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية :

قال الله تعالى : قَالُوا يا لوط إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (هود : ٨١)

وقال الله تعالى : قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ . قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ . لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ . مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ . فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ . وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ (الذاريات : ٣١ - ٣٧)

وقال الله تعالى : فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ . وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (الأعراف : ٨٣ - ٨٤)

اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة :

قال العلامة السيد سليمان الندوي: تسلية عملية للنبي .

يا عبادي الذين آمنوا ، إن أرضي واسعة ، فإياي فاعبدون : تسلية عملية ، فتفرون إليها .

قال الله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرا . إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلا . فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُورا . وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً (النساء : ٩٧ - ١٠٠)

فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين :

قال الله تعالى: فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ . أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ

وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (الزمر : ٢ – ٣)

قال الله تعالى: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ . مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُواْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (الروم : ٣٠ – ٣١)

قال العلامة الندوي : يخلصون الدين إذا نزلت بهم ، فإذا انكشفت رحمة الله ينسبونها إلى الأسباب ويكفرون بنعمة الله .

سورة الروم

عمود السورة : يبشر (الله) المسلمين بتغلبهم على الكفار ورد شبه الكفار بالآيات ودعوتهم إلى الدين .

وعد الله لا يخلف الله وعده :

قال الله تعالى: وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً (النساء : ١٢٢)

فأقم وجهك للدين حنيفاً :

قال الله تعالى: قُلْ إِنَّنِى هَدَانِى رَبِّى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قُلْ إِنَّ صَلاَتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (الأنعام : ١٦١ – ١٦٣)

قال الله تعالى: إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ ، أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (يوسف : ٤٠)

وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه : قال العلامة السيد سليمان الندوي : تخلصون ثم تشركون ، فيكفرون بنعمة الله .

الله الذي يرسل الرياح :

قال الله تعالى: وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرىً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (الأعراف : ٥٧)

فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها :

قال الله تعالى: وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (ق : ١١)

ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً : أي الزرع مصفراً .

قال الله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِى

الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ (الزمر : ٢١)

سورة لقمان

عمود السورة : قال العلامة : الشكر والكفر ، والشكر في الإيمان بالساعة . وحقيقة الشكر في سورة سبأ : وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (سبأ : ٦) وقال : يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (سبأ : ١٣)

تلك آيات الكتاب الحكيم : قال العلامة : وصف الكتاب بالحكمة ، لأن فيه حكمة لقمان .

ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله : الشكر أصل الخير .

قال الله تعالى: وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ (الأعراف : ١٠)

يا بني لا تشرك بالله : شكر لله .

ووصينا الإنسان بوالديه : شكر الوالدين .

قال الله تعالى: وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ . أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (الأحقاف : ١٥ - ١٦)

وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم :

قال الله تعالى: وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَآ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (العنكبوت : ٨)

يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة : يعلم ما في الصخرة .

يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف : شكر .

واصبر على ما أصابك : صبر .

ولا تصعر خدك للناس :

قال الله تعالى: وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً (الإسراء : ٢٨)

ولا تمش في الأرض مرحا : قال العلامة : الكبر بالنعم كفر بها.

ألم تروا أن الله سخر لكم : أي سخّر لكم فاشكروا له .

ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن :
قال الله تعالى: بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (البقرة : ١١٢) وقال : لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (البقرة : ٢٥٦)

ومن كفر فلا يحزنك كفره :
قال الله تعالى: يأَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (المائدة : ٤١)

ولو أنما في الأرض من شجرة :
قال الله تعالى: قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً (الكهف : ١٠٩)

ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة : قال العلامة : الشكر لا يكمل بغير الإيمان بالساعة .

وسخر الشمس والقمر ، كل يجري إلى أجل مسمى :
قال الله تعالى: وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (يس : ٣٨ – ٣٩)

وذلك بأن الله هو الحق :
قال الله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (الحج : ٦٢)

وإذا غشيهم موج كالظلل :
قال الله تعالى: هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (يونس : ٢٢)

ولا يغرنكم بالله الغرور :
قال العلامة : لا يغركم لأن الغيب عند الله عز وجل .

إصدارات حديثة :

مَعْلَمَة زايد للقواعد الفقهية والأصولية

(أضخم موسوعة في القواعد الفقهية والأصولية)

تعريف بقلم : الأستاذ محمد عمر شفيق الندوي

لقد عرف العالم الإسلامي في القرن الماضي موسوعات فقهية مختلفة أصدرتها مؤسسات علمية معروفة، إلا أن مَعْلَمَة زايد للقواعد الفقهية والأصولية تأتي في منهجها ومحتواها كنموذج فريد لم يسبقه عمل آخر في تاريخ الإسلام المعاصر. حيث إنها تجمع بين دفتيها كل ما توصل إليه العلماء من قواعد فقهية وأصولية ومقاصدية، مع تتبع محل ورودها، وبيان معانيها، وذكر فروعها القديمة والمستجدة.

وهذه القواعد لها دورٌ عظيم في تسهيل استنتاج الأحكام الفقهية للنوازل والحوادث وتنظيم فروع الفقه الإسلامي، وفي التفقه والتفقيه واكتساب الملكة العلمية؛ لما تتميز به من تصوير دقيق للمبادئ الفقهية، وكشف آفاقها الواسعة، وحصر مسائلها المتشعبة، وضبط فروع الأحكام العملية بضوابط جامعة، يقول الإمام القرافي رحمه الله في كتابه الفروق: "وهذه القواعد.. عظيمة النفع في أبواب الفقه يحتاج إليها الفقيه حاجة شديدة إن أراد أن يكون من فحول العلماء. وبسبب الإحاطة بهذه القواعد تتضح المدارك ويتميز الصواب في المذاهب من الخطأ وتنشأ الفروق والتراجيح، وفي مثل هذه المواطن يتميز الجذع من القارح، والصالح لضبط الفقه من الطالح".

وقد طبعت مَعْلَمَة زايد للقواعد الفقهية والأصولية في واحد وأربعين مجلدا، وظهرت بنسختيها الورقية والإلكترونية في معرض أبوظبي الدولي للكتاب المنعقد بتاريخ ٢٠١٣/٤/٢٤ م، وقد كان لمؤسسة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية فضل السبق إلى إخراج هذا العمل العلمي العظيم بطبعه وتقديمه إلى المؤسسات العلمية وحملة العلوم وطلابها بحيث يكون في متناول الجميع، فيستفيد منه الفقيه والباحث والقاضي وكل ذي أرب علمي. يقول معالي الشيخ صالح بن حميد رئيس مجمع الفقه الإسلامي الدولي، ورئيس مجلس القضاء الأعلى سابقا، وإمام وخطيب المسجد الحرام في تقديمه للمَعْلَمَة: "تبلور العمل في هذا المشروع على أساس شموله لأربعة أنواع من القواعد هي: القواعد المقاصدية والأصولية والفقهية والضوابط الفقهية، وقد تركزت هذه المعلمة على الأحكام الكلية دون تشتيت الذهن بين الجزئيات الفقهية الكثيرة، كما تم استخراج الكليات الحاكمة للفروع الفقهية على مستوى أبواب الفقه متميزة عن القواعد الفقهية العامة في صورة ضوابط فقهية مستقلة، كما تم تصنيف القواعد الفقهية تصنيفا موضوعيا يراعي مدى اتساع القاعدة وشمولها لعدة أبواب من الفقه، كما تم بيان الصيغ

المتنوعة التي وردت عن القاعدة في المراجع المختلفة، وبيان القواعد ذات العلاقة بالقاعدة محل البحث، وبيان وجه العلاقة بينها، وبيان الآراء الفقهية المتنوعة سواء بين المذاهب الفقهية الكبرى أو داخل المذهب الواحد، مع عرض تطبيقات متنوعة من الماضي والحاضر تؤكد صلاحية الشريعة بمبادئها الكلية لكل زمان ومكان." . ويقول سماحة الشيخ الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية: "وليست معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية، مجرد تجميع للقواعد الفقهية والأصولية والمقاصدية والأخلاقية، بل هي حصيلة غوص في معاني هذه القواعد ودلالاتها، وارتباطات بعضها ببعض، والاطلاع على فروعها ومستثياتها وقيودها؛ فهي تعد ديوانا جَمَعَ من الفوائد والشوارد الفقهية والأصولية والأخلاقية ومناقشاتها ودلالاتها ما لا يوجد في سواه.

ولم تكتف معلمة زايد للقواعد الفقهية بجمع مادتها من الكتب المصنفة في القواعد، بل امتازت بكونها استخرجت هذه القواعد مباشرة من كتب الفقه وأصول الفقه والتفسير والحديث وغير ذلك، وفي هذا مزيد توثيق واستفادة من القواعد بذكرها مع فروعها، بحيث يتمثل مطالع «المعلمة» أداة تطبيق القاعدة على فروعها..."

وتشتمل مَعْلَمَة زايد للقواعد الفقهية والأصولية على ستة أقسام :

القسم الأول: مقدمات نظرية عامة عن القواعد.

القسم الثاني: المبادئ العامة والقواعد المقاصدية

القسم الثالث: القواعد الفقهية

القسم الرابع: الضوابط الفقهية

القسم الخامس: القواعد الأصولية

القسم السادس: الفهارس. وهي تحتوي على مجموعة متنوعة من الفهارس تسهل للباحث استدعاء ما يريد استدعاءه من معلومات، سواء أكانت متعلقة بالآيات والأحاديث الواردة في المعلمة أو الأعلام الذين ورد ذكرهم فيها، أو القواعد والضوابط .

ومن الجدير بالذكر أنه قد شارك في تأليف وإعداد مَعْلَمَة زايد للقواعد الفقهية والأصولية نخبة من العلماء والباحثين من شتى بلدان العالم الإسلامي؛ من المملكة العربية السعودية والمغرب وبلاد شنقيط ومصر والسودان وسوريا والأردن وفلسطين وأفغانستان، ومن بينهم الدكتور علي أحمد الندوي من علماء الهند ، حيث كان رئيسا لقسم الضوابط الفقهية، وعضوا في لجنة الخبراء، وقد كتب مقدمتين من المقدمات العلمية للمعلمة، إحداهما بعنوان: تاريخ القواعد الفقهية، والأخرى بعنوان: الضوابط الفقهية، ومن الباحثين المشاركين أيضا من الهند محمد عمر شفيق الندوي، حيث كان باحثا في قسم القواعد الفقهية، ومراجعا في قسم القواعد المستدركة، وقد كتب مقدمة علمية بعنوان: أنواع القواعد الفقهية، وقام بصياغة (١٦٩) قاعدة من القواعد الفقهية، وضابطين من قسم الضوابط الفقهية .

أخبار علمية وثقافية

المؤتمر الوطني للباحثين الشباب بدلهي الجديدة (الهند)

إعداد : الأخ محمد محبوب عالم الندوي

نظم مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جواهر لال نهرو بنيو دلهي، الهند، مؤتمراً وطنياً ليومين للباحثين الشباب بعنوان " الدراسات العربية في الهند: منجزات وتطلعات" وذلك في الفترة ما بين ١- ٢ نوفمبر عام ٢٠١٤م، وقد حظي المؤتمر باهتمام بالغ من الباحثين الشباب من أنحاء البلاد، فشارك فيه الباحثات والباحثون الشباب المعنيون باللغة العربية ببحوثهم القيمة من الجامعات والكليات الهندية، وعلى رأسها: جامعة جواهر لال نهرو، وجامعة دلهي، والجامعة الملية الإسلامية، وجامعة علي جراه الإسلامية، وجامعة لكناؤ وجامعة حيدرآباد، وجامعة كيرلا. وهذا المؤتمر كان الأول من نوعه، من حيث وفر للباحثين الشباب فرصة للاجتماع على منصة واحدة ، وتفاعل بعضهم مع البعض، والنقاش حول جهود العلماء الهنود ومساهماتهم باللغة العربية ، وتعتبر هذه المبادرة لعقد المؤتمر للباحثين الشباب مبادرة تاريخية، ومن هذه الناحية يعد هذا المؤتمر أيضاً تاريخياً. وعقد هذا المؤتمر مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جواهر لال نهرو بالتعاون مع مؤسسة إنديا لوغ (Indialogue Foundation) ، ومؤسسة الزكاة الهندية، ومجمع الفقه الإسلامي، الهند.

جلسات البحوث:

بعد الجلسة الافتتاحية، عقدت عشر جلسات للبحوث والمقالات بصورة متوازية في يومين، قدم من خلالها حوالي سبعين باحثاً وباحثة أوراق البحث القيمة على المحاور المختلفة حول ما بذله العلماء الهنود في تطوير اللغة العربية، وترأس هذه الجلسات العديد من الأكاديميين الكبار من أمثال أ – د شفيق أحمد خان الندوي، و أ – د زبير أحمد الفاروقي، و أ – د حبيب الله خان، و أ – د عبد الماجد القاضي الندوي، و أ – د بشير أحمد الجمالي، و أ – د أسلم الإصلاحي، و أ- د مجيب الرحمن الندوي، والدكتور رضوان الرحمن، والدكتور محمد قطب الدين الندوي، وألقى كل منهم كلمات الرئاسة في ختام الجلسة وأشادوا بأهداف المؤتمر التاريخي لكونه منفرداً من نوعه، كما حضوا الباحثين على العناية ببحوثهم عناية فائقة وبذل قصارى جهودهم في دقة أبحاثهم.

الجلسة الختامية:

بعد الجلسة الافتتاحية وعشر جلسات للبحوث، انعقدت الجلسة الختامية في ٢/ نوفمبر برئاسة البروفيسور مجيب الرحمن الندوي، رئيس المركز. وضيف الشرف لهذه الجلسة كان الكاتب والشاعر والسفير السوداني سابقا الدكتور كرم الله كرم كركساوي. قدم بعض المقدمين الأوراق ممن حضروا من جامعات مختلفة انطباعاتهم ومدى إعجابهم بهذا النوع الأول من الندوة، وتوجهوا بالشكر والتقدير إلى مركز الدراسات العربية والإفريقية على ما بذله من جهود كبيرة في التنظيم والترتيب من أجل عقد هذاالمؤتمر، كما شكروا اللجنة العاملة في المؤتمر على حسن الإعداد وجودة التنظيم وروعة الاستقبال والضيافة. وعرضت على الحفل قرارات المؤتمر، قرأها منسق الجلسة الدكتور خورشيد إمام، ومما جاء في القرارات أن الندوة توصي بأن يكون المعرض السنوي مع إعداد أفضل وبيئة أفضل للباحثين الشباب من جميع مراكز اللغة العربية في الهند، وسيتم اختيار موضوع ذي صلة بالباحثين كل سنة لعقد الندوة حوله، وينبغي لجميع أساتذة اللغة العربية أن يوفروا أنشطة بحوثهم الحالية للباحثين على الإنترنت، ويجب على جميع الباحثين الأكاديميين أن يجتمعوا للتواصل بعضهم مع البعض من أجل تبادل أبحاثهم، ويجب بذل الجهود للتواصل مع المؤسسات في العالم العربي، التي تركز على مجال البحث، وسيتم إنشاء موقع إلكتروني للباحثين، وتحميل المعلومات فيه عن أبحاثهم وتحديثه بصورة منتظمة، بالإضافة إلى الاقتراحات وردود الفعل، ثم تقدم رئيس الجلسة بكلمته الرئاسية وأعرب عن السعادة التي غمرته، والبهجة التي تملكته على النجاح الباهر الذي حققته هذه الندوة، وعلى الأمل والتفاؤل الذي أثارته الندوة في نفوس الباحثين والدارسين، ولفت انتباه الباحثين إلى التركيز على الدقة العلمية والقراءة الواسعة، والتواصل مع الباحثين والكتاب في العالم العربي، وأضاف قائلا: اليوم كل نوع من المعلومات متوافر في الإنترنت فلا محل للشكوى بعدم توافر المعلومات، فعلى الباحثين وكل من يدرس اللغة العربية أن يبذلوا ما في وسعهم لتقوية لغتهم ودقة بحوثهم من خلال استخدام الوسائل المتعددة المتأتية في الإنترنت.

كلمة الشكر: أخيرا تقدم الدكتور محمد قطب الدين الندوي، مدير المؤتمر بتوجيه أسمى معاني الشكر والامتنان إلى الضيوف الأفاضل والمشاركين والمشاركات بأوراق البحث القيمة والحضور الكرام.

أخبار اجتماعية وثقافية :

المهرجان المئوي لدارالمصنفين باعظم جراه [الهند]

قلم التحرير

أقام مجمع دار المصنفين في أعظم جراه (أترا لبرا ديش- الهند) بمناسبة مرور مأة عام على إنشاء هذا المجمع العلمي الكبير ، وكان قد أرسى قواعده العلامة الشيخ النعماني في عام ١٩١٤ م ، وبعده بأيام توفي العلامة شبلي النعماني في العام نفسه ، فكان هذا المهرجان تعبيراً عن الذكريين كلتيهما ، واستمرت برامجه ثلاثة أيام في الفترة ما بين ٢٩ — ٣٠ نوفمبر وأول ديسمبر عام ٢٠١٤ م .

والجدير بالذكر أن فخامة نائب رئيس الجمهورية قام بتدشين المهرجان في حشد كبير من رجال العلم والثقافة وجماهير الشعب المسلم ، أشاد نائب الرئيس بالخدمات العلمية والثقافية والأدبية والتاريخية التي أنجزها هذا المجمع خلال قرن من الزمان ، وتحدث عن العبقرية التي رُزقها مؤسس مجمع دار المصنفين العلامة شبلي النعماني، والإنجازات العلمية والتاريخية التي أنجزها طول حياته ، وأثرى بها المكتبة الإسلامية الكبيرة .

وفي مساء هذا اليوم عقدت الجلسة الافتتاحية لهذا المهرجان على مستوى تذكاري جميل ، حضرها كبار الشخصيات من طبقة العلماء والأدباء والمثقفين والمؤرخين على مستوى عموم الهند ، ممن كانوا يمثلون الجامعات والمجاميع ومراكز العلم والثقافة من أنحاء الهند وخارجها ، وحضر الجلسة الافتتاحية الأولى وفد من ندوة العلماء بقيادة سماحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء العام ، فكان من أعضاء الوفد سعادة الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي وكاتب هذه السطور سعيد الأعظمي ، كما قد مثل الجماعة الإسلامية في الهند فضيلة الشيخ جلال الدين العمري ، والدكتور شميم الجيراجفوري وكثير من كبار الشخصيات ، ألقيت في هذه الجلسة كلمات عن مكانة العلامة العملاقة ومنجزات دارالمصنفين العلمية والتاريخية ، وألقى في الأخير

سماحة العلامة الندوي كلمة رئاسية ، تحدث فيها عن الثورة التعليمية والثقافية التي أحدثها العلامة النعماني في هذه البلاد في ظروف قاسية، مليئة بالأسف واليأس ، من أجل إخفاق الثورة التحريرية الهندية من براثن الاستعمار الانجليزي ، الثورة التي قادها علماء هذه البلاد في عام ١٨٥٧ م ، وذهب ضحيتها عدد كبير من علماء هذه البلاد ، ممن عاقبهم الاستعمار الانجليزي بالشنق والإعدام ، ولا شك أن المسلمين كانوا مستهدفين من هذا الاستعمار ، بقطع صلتهم عن الحياة ، وطرق المعاش ، وكانت ولادة العلامة شبلي النعماني في نفس هذا العام ١٨٥٧ م ، في جو حزين ، الواقع الذي نشأ فيه العلامة كأنه رضع من لبان هذه الثورة الفاشلة ، عزماً وشيكاً وهمة عالية ، لتلافي الخسارة وإحداث ثورة من خلال توسعة نطاق التعليم والعلم والثقافة ، إذ لم يكن هناك طريق لطرد الاستعمار من البلاد ، فأفنى حياته كلها في هذا السبيل ، وأثبت وجوده بثورة علمية وفق إليها في مجال التعليم والتربية والأدب والثقافة .

وقد قام بالتنظيم الإداري لإقامة هذا المهرجان سعادة الدكتور اشتياق أحمد الظلي رئيس هذا المجمع والشيخ عمير الصديق الندوي ورفاقه الكرام ، فاستمرت البرامج إلى ثلاثة أيام ، ألقيت خلالها مقالات علمية قيمة حول شخصية العلامة شبلي النعماني وإنجازاته العلمية القيمة . كما قد حضر في المهرجان شخصيات من جمهورية مصر العربية ومن جمهورية تركيا ودولة باكستان ورؤساء الجامعات العصرية وعلماء البلاد وأساتذة المدارس الإسلامية .

كما أن رئيس مجمع شبلي الدكتور الظلي قدّم هدايا علمية من المؤلفات والكتب التي أعدت بمناسبة هذا المهرجان المئوي إلى الضيوف الكرام .

وقد عقدت ثماني عشرة جلسة لتقديم المقالات والبحوث حول العلامة شبلي وجهوده العلمية في قاعات ثلاث ما عدا الجلسة الافتتاحية والنهائية ، ففي كل قاعة ست جلسات ، وانتهى المهرجان بعقد ندوة شعرية ، حضرها كبار شعراء أردو، وسيكون لهذا المهرجان أهمية تاريخية في التاريخ المستقبلي للمجمع بإذن الله تعالى ، والله ولي التوفيق .

إلى رحمة الله تعالى :

(١) فضيلة الشيخ الحاج إرشاد أحمد البرتاب غري في ذمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بفضيلة الشيخ الحاج إرشاد أحمد أكبر أنجال العالم الرباني الكبير فضيلة الشيخ العارف بالله محمد أحمد البرتاب غري (رحمه الله تعالى) مساء يوم الخميس ١٧ / من شهر صفر ١٤٣٦ هـ الموافق ١١ / ١٢ / ٢٠١٤ م في حادث مفاجئ لمرض Brain Hemorrhage ، بالغاً من العمر ٧٥ / عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم من طبقة الرجال الصالحين نال تربيته الدينية على يد والده العظيم الشيخ البرتاب غري ، وكان يراجعه الناس في الأمور الدينية والشئون الاجتماعية ، وكان مقيماً في بيت والده رحمه الله تعالى مع أسرته وأولاده ، صُلي عليه في مدينة إله آباد وتم تدفينه فيها عشاء يوم الجمعة .

والجدير بالذكر أن الفقيد كان شقيق فضيلة الشيخ المقرئ مشتاق أحمد الذي يعيش في لكهنؤ ، ويشرف على شئون التعليم الديني بواسطة المدرسة العالية العرفانية التي أنشأها بإيعاز من والده العظيم منذ أربعة عقود من الزمان ، في الجزء الغربي من مدينة لكهنؤ، ولا يزال يخدم التعليم الديني على غرار مناهج دارالعلوم لندوة العلماء ، وهي من المدارس الملحقة بدارالعلوم فينتقل عدد من طلابها إلى دارالعلوم بعد إنهاء المنهج التعليمي في المدرسة العالية العرفانية .

ونحن إذ نعزي فضيلة الشيخ المقرئ مشتاق أحمد وأعضاء أسرته نتضرع إلى الله تعالى أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويغفر له زلاته ويسكنه فسيح جناته ، ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

(٢) فضيلة الشيخ إبراهيم الكاوي في ذمة الله تعالى

أفادت الأنباء الآتية من ولاية غجرات بوفاة فضيلة الشيخ إبراهيم الكاوي من منطقة بروش ، بولاية غجرات ، الهند ، صباح يوم الثلاثاء ١٥/ من شهر صفر ١٤٣٦ هـ الموافق ٩/ من شهر ديسمبر

٢٠١٤ م ، بالغاً من العمر ٦٥/ عاماً ، كان أحد أساتذة الجامعة الإسلامية (تعليم الدين) ببلدة دابيل بمديرية سورت (غجرات)، وقد توفي عقب مرض خفيف أصيب به ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

إنه قضى أكثر من ٤٠ عاماً في مهنة التعليم والتدريس ، وقضى معظمها في الجامعة الإسلامية بدابيل ، وقد كان من تلاميذ كبار علماء غجرات ، وبوجه أخص كان قد درس على شيخ الحديث في الجامعة فضيلة الشيخ المحدث محمد أيوب الأعظمي (رحمه الله)، عاش طول حياته في غاية من السذاجة والبساطة ، ملتزماً بذيل التقوى والورع والنصح ، صلى عليه فضيلة الشيخ المفتي أحمد خانفوري شيخ الحديث بالجامعة اليوم .

رحمه الله تعالى وأغدق عليه شآبيب المغفرة ونعمة القبول ، وأكرمه بالجنة والنعيم ، وألهم أهله وذويه وتلاميذه الصبر الجميل .

(٣) والدة الشيخ عبد العلي الفاروقي إلى رحمة الله تعالى

كان نبأ وفاة والدة فضيلة الشيخ عبد العلي الفاروقي مبعث أسف وحزن بالغين ، عقب مرض أصيبت به منذ مدة ، وكانت بالغة من العمر نحو ٨٠/ عاماً ،وذلك يوم الأحد في اليوم الخامس من شهر صفر ١٤٣٦ هـ المصادف ٢٠١٤/١١/٣٠ م ، في الأسرة الفاروقية بمدينة لكناؤ ، (الهند) .

وما علمنا بهذا الحادث المفاجئ إلا بعد عودتنا من برامج مجمع دار المصنفين في أعظم جراه ، وفاتنا الحضور في الصلاة عليها ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ومعلوم أن الراحلة الكريمة كان لها دور يُذكر ويُشكر في تربية أولادها ، بعد وفاة زوجها فضيلة الشيخ عبدالحليم الفاروقي رحمه الله ، وقد تخرج أبناؤها في العلوم الدينية والعصرية ، وقاموا بالخدمات العلمية والدينية والاجتماعية ، رحمها الله رحمة واسعة .

ونحن إذ نعزي فضيلتي الأخوين الشيخ عبد العلي الفاروقي ، والشيخ عبد الولي الفاروقي وجميع أعضاء الأسرة ندعو الله سبحانه وتعالى أن يتغمدها بواسع رحمته ويغفر لها زلاتها ويسكنها في جنات ونعيم ، ويلهم الجميع الصبر الجميل .

(٤) حرم فضيلة الشيخ الأستاذ أكبر علي الندوي في ذمة الله

توفيت حرم فضيلة الشيخ الأستاذ أكبر علي الندوي يوم الاثنين ٦ / من شهر صفر عام ١٤٣٦ هـ الموافق أول ديسمبر ٢٠١٤ م وارتحلت إلى رحمة الله تعالى ، وكانت تعيش في أسرتها مع أبنائها في قرية " جمرولي " بمديرية فيض آباد ، أترا براديش (الهند) .

ومعلوم أن فضيلة الشيخ أكبر علي كان من خريجي ندوة العلماء في السبعينيات من القرن المنصرم ، قام بوظيفة أستاذ الأدب العربي في جامعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد بمنطقة كتولي ، المجاورة بمدينة لكناؤ ، وتوفي قبل اليوم بخمس سنوات ، يرحمه الله.

تلقينا نبأ وفاتها بحزن بالغ ، ومما يُذكر أنها كانت قد فقدت زوجها منذ خمسة أعوام مضت ، عاشت خلال هذه المدة في صبر وقناعة .

رحمها الله تعالى ، وأغدق عليها نعمها ، وغفر لها زلاتها ، وأسكنها فسيح جناته .

(٥) فضيلة الشيخ عبد الرب القاسمي في ذمة الله تعالى

أفادت الأنباء – والمجلة ماثلة للطبع – الآتية من مديرية غونده لولاية أترابراديش الهند ، بوفاة العالم الجليل فضيلة الشيخ عبد الرب القاسمي مدير المدرسة الفرقانية ورئيس جمعية علماء الهند في المنطقة بمديرية غونده ، بعد مرض السكر الذي أصيب به منذ مدة قليلة ، وذلك في أحد المستشفيات الخاصة في لكهنؤ ، حيث كان يعالج ، وكان بالغاً من العمر ٧٣ عاماً ، حدث ذلك في ٢٧ / من شهر ديسمبر ٢٠١٤ م الموافق ٤ / من شهر ربيع الأول ١٤٣٦ هـ فإنا لله وإنا إليه راجعون

كان من أجلة العلماء في المنطقة وقائماً بعمل تدريس العلوم الإسلامية في المدرسة الفرقانية وإدارتها ، إلى مدة غير قصيرة .

ونحن إذ نعزي أعضاء أسرته ومدرسته أساتذة وطلاباً ، ندعو الله سبحانه أن يتغمده برحمته الواسعة ويتقبل خدماته ويغفر له زلاته ويسكنه فسيح جناته ، ويلهم أهله وذويه الصبر الجميل ، والله غفور رحيم .